



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

الرقم التسلسلي:

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

رقم التسجيل: JN2801202323044102691

قسم التاريخ

20232391304461

ابن البيطار وإسهاماته الطبية في الأندلس (١٢٤٨هـ / 1248م)

مذكرة مكّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

تحت إشراف الدكتور:

محمد الصديق محمودي

إعداد الطالبين:

عبد الرحمان طالب

ميلود مشتر

السنة الجامعية: 1444-1445هـ / 2023-2024م

الرقم التسلسلي:

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

رقم التسجيل: JN2801202323044102691

قسم التاريخ

20232391304461

ابن البيطار وإسهاماته الطبية في الأندلس (١٢٤٨هـ/١٢٤٨م)

مذكرة ماستر ل.م.د.

في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي

من إعداد الطالبين: عبد الرحمان طالب وميلود مشتر

نوقشت بتاريخ: 2024/06/09 أمام اللجنة المكونة من:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د. فريد عيشوش	أستاذ محاضر	المسيلة	رئيسا
2	د. محمد الصديق محمودي	أستاذ محاضر	المسيلة	مشرفا ومقررا
3	أ.د. محمد موشموش	أستاذ	المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/2023-2024م



إهداء

النخرج ليس نهاية المطاف، بل هو بداية جديدة مليئة

بإمكانيات

لهدي هذه الخطوة الأولى لكل من يطمح للمزيد..

عبد الرحمن طالب

ميلود مشتر

شكر وعرفان

تتقدم بجزيل الشكر والمودة إلى كل من ساعدنا في اتمام هذه المذكرة

وخاصة أستاذنا المشرف؛ الدكتور محمد الصديق محمودي.

الذي أرشدنا ووجهنا ولم يخل علينا بنصائحه القيمة

والشكر موصول لأعضاء اللجنة العلمية

وفي الأخير تتمنى أن يكون مجتهد المتواضع في أحسن صورة، وكذلك

نشكر كل من كانت له يد المساعدة من بعيد أو من قريب لإنجاز هذه

المذكرة

المقدمة

عرف الإنسان الطب منذ بدء الخليقة، وحاول أن يعالج نفسه بكل ما توصل إليه من مواد نباتية ومعدنية وحيوانية وطلسمات وثنية، وآمن بقدرتها على شفائه من مرضه. وعند بزوغ شمس الإسلام على ربوع جزيرة العرب، وخروج أهلها من الظلمات إلى النور، نشأت الحضارة الإسلامية على أسس الحضارة القديمة، كما بلغت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس مرحلة من التطور جعلت منها منارة للعلم والمعرفة، في مرحلة كانت أوروبا تعيش عصور تخلفها.

والى جانب دورها في الحفاظ على التراث الإغريقي عملت على تطوير العلوم، ومنها انتقلت هذه العلوم إلى أوروبا، حيث ظلت العديد من المؤلفات تدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر، وفي هذا الرحم ظهرت إرهاصات عباقرة في مجال العلوم ومن بين هؤلاء العباقرة الذين برزوا وانحنى له رؤوس العلماء في مجالي الطب والصيدلة "ابن البيطار" الذي يشكل محور بحثنا الأكاديمي تحت عنوان: "ابن البيطار وإسهاماته الطبية والصيدلية في الأندلس" خلال العصر الوسيط.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

تعود دوافع اختيار هذا الموضوع إلى:

- الرغبة الشخصية في دراسة هذا الموضوع، كونه يحمل في ثناياه الكثير من الحقائق والمعارف التي يجهلها الإنسان حول علم الطب.
- إبراز مساهمة ابن البيطار ودوره في تطور ورقي علمي الطب والصيدلة بالأندلس.
- تحقيق أهداف علمية مثل تقديم مساهمة جديدة في مجال التعريف بالعلماء العرب والمسلمين.

أهمية الموضوع:

تكمُن أهمية الموضوع في كونه يبرز لنا مدى قيمة وعظمة العالم الطبيب العشاب الصيدلاني الكيميائي "ابن البيطار" وعرض أهم إنجازاته الطبية والصيدلانية بهدف:

- نفي التهم التي ألصقت بالطب والصيدلة العربية ألا وهي صفة التقليد والحفظ فكان لابد أن نثبت عكس ذلك.
- معرفة أهم الأسباب والدوافع التي جعلت الطب متطورا في الأندلس.
- تقديم صور واضحة عن أهم أعمال ابن البيطار واختراعاته في مجال الطب والصيدلة.

الإشكالية:

يدرس البحث الطب والصيدلة في الأندلس بشكل عام، والأسباب التي جعلت العلوم الطبية والصيدلانية متطورة ومزدهرة في الأندلس، ودراسة نماذج عن أهم أعلام الطب والصيدلة، ومن بين هذه النماذج ابن البيطار، والمشكلة التي يمكن طرحها: ماهي إسهامات ابن البيطار في مجالي الطب والصيدلة؟ وتندرج ضمن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات الفرعية:

- كيف كانت بداية الحركة الطبية في الأندلس؟ ماهي عوامل الازدهار وأهم أعلام الطب والصيدلة في الأندلس؟ من هو ابن البيطار؟ وماهي أهم إنجازاته ومساهمته في الطب والصيدلة العربية والعالمية؟

المنهج المتبع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، لتبيان سرد أحوال العلوم وخاصة لتأصيل بحوث "ابن البيطار" في مجال الطب والصيدلة مع استخدام المنهج التحليلي لمناقشة بعض الآراء ومقارنتها بآراء السابقين.

خطة العمل:

لدراسة هذا الموضوع قمنا بتقسيم بحثنا هذا إلى ثلاثة فصول. الأول تمهيدي الطب والصيدلة في الأندلس، أما الثاني تحت عنوان التعريف بابن البيطار، أما الفصل الثالث بعنوان إسهامات ابن البيطار في مجال الطب والصيدلة ومكانته العلمية، هذه الفصول سبقتها مقدمة للعمل وخاتمة تضم أهم الاستنتاجات الخاصة بالعمل.

بالنسبة للفصل الأول، عالجنا فيه بداية حركة الطبية في بلاد الأندلس وكذا عوامل ازدهار الطب والصيدلة، مع ذكر أهم أطباء وصيادلة وأبرز انجازاتهم.

أما الفصل الثاني، بعنوان التعريف بابن البيطار والذي تناول عدة مباحث، تتمثل في: مولده، ونشأته العلمية، وطلبه للعلم، وشيوخه، ومنهجه العلمي، ورحلاته.

أما الفصل الثالث، بعنوان إسهامات ابن البيطار في مجال الطب والصيدلة، والذي تناولنا فيه: مؤلفاته، وملاحظات التي أضافها ابن البيطار للطب والصيدلة العربية، ومكانته بالنسبة لأساتذته وتلاميذه، وكذا مكانته بالنسبة للصيدلة الحديثة، بالإضافة إلى أقوال التراجمة عن مكانته.

عرض أهم المصادر والمراجع:

إن الدارس لهذا الموضوع كغيره من المواضيع لا بد من الاستئناس والاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع وهي:

- **طبقات الأطباء والحكماء لابن جليل:** هو سليمان ابن حسان الأندلسي (332-377هـ/943-987م) طبيب أندلسي ومؤرخ من أهل قرطبة، ألفه سنة (377هـ) وتبرز أهمية الكتاب كونه يترجم للبارزين والمشهورين من الأطباء في الأندلس، وتزداد أهمية الكتاب، بأنه تاريخ للنهضة العلمية والطبية في الأندلس، وقد استندت منه للفصل الأول في ترجمة الأطباء.
- **طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي:** هو أبو القاسم صاعد ابن أحمد ابن صاعد الأندلسي (ت 462هـ/1069م)، من علماء عصر ملوك الطوائف، وكتابه يعد من أهم ما صنف من العلوم التطبيقية التجريبية، وتتضح أهمية المصدر من أن القاضي ابن صاعد قد التقى بالكثير ممن ترجم من معاصرين واخذ عن بعضهم الكثير من المعارف والعلوم، بعد تحقق من مكانتهم العلمية، ومؤرخا لتاريخ العلوم عند الأمم والشعوب.
- **عيون الأنباء في طبقة الأطباء لابن أبي أصيبعة:** هو موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي (569-686هـ/1200-1270م)، هو من الأطباء العرب المرموقين وأدباءه المعروفين، ويعد كتابه مصدر أساسيا في علم الطب وتاريخ الأطباء، وهو مقسم إلى خمسة عشر بابا ويحوي ما يفوق عن أربعة مئة ترجمة منذ فجر العهود القديمة إلى طبقات للأطباء في الأندلس وهو الجزء الثالث عشر، إلا أنه في ترجمته لأستاذه ابن البيطار لم يوفه كاملا بخلاف من ترجم لهم مطولا.
- **الأعلام لخير الدين الزركلي:** هو خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (1310-1396هـ/1893-1976م)؛ يعد الفريد من نوعه من أعظم الدراسات التي تناولت تراجم الرجال، حيث ترجم لنحو (13435) علما، من

القديم والجديد معتمدا على ما يزيد عن ألف وبضع مئات من المصادر والمراجع المطبوعة والخطية، فضلا عن مئات الصحف والدوريات.

- رسالة ماجستير للباحث رزق عبد الرحمان محمود، والتي كانت تحت عنوان "مفهوم الصيدلة ومصادرها عند ابن البيطار"؛ حيث استفدنا منها خاصة فيما تعلق بإسهامات ابن البيطار في مجال الصيدلة.

العوائق والصعوبات:

لا يكاد أن يخلو أي بحث من وجود صعوبات وعوائق تعترض مسار البحث، نذكر منها بعض من الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا والمتمثلة في:

- عدم توفر المادة المصدريّة الكافية لفك الالتباس حول شخصية ابن البيطار.

- العديد من مؤلفات ابن البيطار لم تحقق ولم تنشر والتي نعتقد أنها تحتوي الكثير من المادة الخبرية حول ابن البيطار وإسهاماته، بالإضافة لعدم الحصول على البعض الآخر المنشور منها ما يجعل في البحث نقائص.

- ندرة الدراسات السابقة التي تتناول حياة ابن البيطار وإسهاماته العلمية في مجال الطب والصيدلة.

- بعض المصادر تحتوي على مصطلحات للأدوية وعلاجات يصعب فهمها.

- البحث عن معلومات دقيقة وموثوقة عن حياة شخصية تاريخية مثل ابن البيطار مهمة صعبة ومطولة تتطلب صبرا ومثابرة كبيرين.

الفصل الأول:

الطب والصيدلة في الأندلس

المبحث الأول: حركية علم الطب في الأندلس

المطلب الأول: بداية الحركة الطبية في الأندلس

المطلب الثاني: عوامل ازدهار الطب والصيدلة في الأندلس

المبحث الثاني: أطباء وصيادلة الأندلس وإنجازاتهم

المطلب الأول: أهم الأطباء والصيادلة في الأندلس

المطلب الثاني: أبرز إنجازات الأطباء والصيادلة في الأندلس

ازدهرت الأندلس في عهدها الجديد تحت ظلال الإسلام الخالد، دين الحضارة وفق مبدأ التسامح الديني منذ أن وطأها العرب المسلمون، حتى ارتقت إلى أعلى سلم المجد بالتألق الحضاري المشرق في أوروبا في شتى الميادين، خاصة في ميدان العلوم. ما نظرة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة للطب؟ وفيما تتمثل عوامل ازدهار الطب والصيدلة في الأندلس؟

المبحث الأول: حركية علم الطب في الأندلس

كانت قرطبة حاضرة الأندلس، وأعظم مركز للعلوم والمعارف الإسلامية في أوروبا في أثناء العصور الوسطى بالوقت الذي كان الجهل والظلام والمرض يسود العالم المسيحي (النصراني)، ولذلك كان يتوافد إليها الناس من المشرق والمغرب لنهل العلم، حتى بلغ ازدهار الطب والصيدلة ذروته في الخلافة الأندلسية (316هـ - 422هـ/924م - 1040م)، حيث أنشئت جامعة متطورة في قرطبة¹...، ونال الأندلسيون تقدماً في علم الطب، ولا شك أن هذا العلم يأتي عند الأندلسيين في مقدمة العلوم التطبيقية من حيث الاهتمام والعناية، ووفرة الإنتاج العلمي.

المطلب الأول: بداية الحركة الطبية في الأندلس

كانت الأندلس عند دخول عبد الرحمان الداخل خالية من العلوم وأن أهلها كانوا يعتمدون على طلاس قديمة إذ قال: "كانت الأندلس في الزمان القديم خالية من العلم، لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلا أنه يوجد فيها طلمسات قديمة في مواضع مختلفة من قبل ملوك رومية...، إلى أن توطيد الملك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفتنة فتحرك ذو الهمم منهم لطلب العلوم"².

1- محمد بشير حسن راضي العامري: فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014م، ص13-16.

2- أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي: طبقات الأمم، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية لأباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1912م، ص62.

ويعد الطبيب "أبا إبراهيم الملحجي" الذي دخل مع عبد الرحمان بن معاوية إلى الأندلس من الأوائل الذين مارسوا الطب بأفكار وأساليب لم تكن معروفة في تلك البلاد، كما مارس الطب في تلك الفترة كل من "حمدين بن أبان"¹، و"عبد الملك بن حبيب السلمي"²، وكانا من أوائل الأطباء الذين ظهروا في إمارة قرطبة.

ولما بلغ الأطباء أشدهم التفوا إلى التأليف، حيث قال "ابن جلجل": "كان يعول في الطب في الأندلس على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له: (الأبرشيم) ومعناه المجموع أو الجامع وكان قوم من النصارى يتطيفون ولم تكن لهم بصارة بصناعة الطب والفلسفة والهندسة حتى أيام عبد الرحمان بن عبد الحكم"³.

إن الاهتمام بهذا العلم لم يظهر في الأندلس إلا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل (238هـ/273هـ - 853م/885م) حسب قول ابن صاعد الأندلسي: "إنه لما كان وسط المائة الثالثة من تاريخ الهجرة وذلك أيام الأمير الخامس من ملوك بني أمية وهو محمد بن عبد الرحمان...تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلم"⁴.

وكان الخليفة المستنصر أكثر شغفا بالعلوم، فصرف الأموال الطائلة لجمع المخطوطات، وتأسيس دار علم على غرار بيت الحكمة في بغداد، ولذا فإن حكم الناصر يعد مستهل تدفق علوم المشرق في الطب إلى الأندلس، وظهور نوابغ الأطباء

1- حمدين بن أبان: كان طبيباً حاذقت مجرباً، وكان صهر ابن خالد كان عصره في زمن ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمان للأندلس (238/273هـ)، ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص93.

2- عبد الملك بن حبيب السلمي الإليبري القرطبي، أبو مروان عالم الأندلس وفقهها، سكن قرطبة وزار مصر ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة (173/238هـ - 790/853م)؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم، ط15، 2002م، ج4، ص157.

3- أبو داود سليمان بن حسان بن جلجل الأندلسي: طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، ص92.

4 - صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص64.

والعشابيين، ويناظر صنيعة، صنيع أبي جعفر المنصور الذي كان أول خليفة عباسي دعا لنقل العلوم اليونانية إلى بلاد الإسلام¹.

وفي القرنين الرابع والخامس الهجريين (القرن التاسع والعاشر للميلاد) كانت الأندلس قمة الإسلام، ومجمع العلماء "ذلك كان بها خيرة الأطباء، وكانوا علماء وقضاة ووزراء وشعراء، إلى جانب أنهم أطباء"².

المطلب الثاني: عوامل ازدهار الطب والصيدلة في الأندلس

صناعة الطب من أشرف الصنائع ومن أربح البضائع، وقد ورد تفصيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية، حتى جعل علم الأبدان قرينا لعلم الأديان.

أولاً: العوامل الدينية

لقد جاء الإسلام بالمحافظة على الضروريات الخمس وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسب، لأنه لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ولا يستقيم نظام إلا بوجودها وتحصيلها فإذا اختلت آلت حالة الأمة في الدنيا إلى فساد وتلاشي، وفي الآخرة فوات النجاة والنعيم، ثم إن من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية الضرورية، حفظ النفس والعناية بها عناية فائقة، فشرعت من الأحكام ما يجلب المصالح لها ويدفع المفاسد عنها، وذلك مبالغة في حفظها وصيانتها، ودرء الاعتداء عليها. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾³، فأكدت الآية الكريمة العلاقة الوثيقة بالطب وبصحة الإنسان وغذائه، وهناك رابط قوي بين الدين وصحة الإنسان وذلك من

1- سعد عبد الله البشير: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، جامعة أم القرى، 1982م، ص178.

2- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م، ج1، ص423.

3- سورة الأعراف، الآية: 31.

خلال تطبيق الفروض والواجبات التي لها صلة بديمومة صحة الإنسان، وبذلك قد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية غايتين في آن واحد: صحية ودينية¹.

وتحتوي أقوال الرسول ﷺ في الطب على قواعد عديدة على الإنسان الأخذ بها لحفظ صحته وهي كفيته في طريقة الغذاء، والشراب والاستحمام والزواج وغيرها من الأمور لها علاقة بصحة الإنسان. ولهذا أمر الرسول ﷺ بالتداوي فعن أسامة بن شريك، قال: قَالَتِ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: {نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا}، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: {الْهَرَمُ}²؛ وهذا دليل قاطع يؤكد أهمية ومكانة الطب والأطباء. ويقول ابن تيمية: والتحقيق أن الطب منه ما هو محرم، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مستحب، وقد يكون منه ما هو واجب وهو: ما يعلم أنه يحصل به بقاء النفس لا بغيره، كما يجب أكل الميتة عند الضرورة...، والعلاج المعتاد تحصل معه الحياة كالتغذية للضعف وكاستخراج الدم أحيانا³، يقول أبو حامد الغزالي: "الطب من الفروض الكفاية هو علم لا يستغنى عنه قوام أمور الدنيا إذا هو ضروري لحاجة بقاء الإنسان"⁴.

وقد جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله في شأن الطب: "لا أعلم علما بعد الحلال والحرام، أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه"، قال حرمله: كان

1- أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني ابن الأثير: جامع الأصول من أحاديث الرسول، ط2، تح: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980م، ج6، ص37.

2- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تح وت: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ/1975م، ج4، ص383، (2038).

3- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد للطباعة، السعودية، 2004م، ج17، ص12.

4- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، تح: زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسن العراقي، ط1، دار صادر، بيروت، 2000م، ج1، ص34.

الشافعي يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب، ويقول: ضيعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى¹.

وقال الشافعي أيضاً: "لا تسكن بلداً لا يكون فيه عالم يفتيك عن دينك، ولا طبيب ينبئك عن أمر بدنك"².

ثانياً: العوامل السياسية

كان الهدوء السياسي الذي عاشته الأندلس خلال عهد الخلافة (316هـ - 422هـ/924م-1040م) إثر في الاستقرار والتقدم الحضاري في شتى الميادين ومنها الحياة العلمية، ويرجع ذلك إلى المجهود الضخم الذي بذله الخليفة الأول عبد الرحمن الناصر (300هـ - 350هـ/912م-961م) في القضاء على الفتن أولاً وتوطيد الأمن في البلاد ثانياً.

اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر اهتماماً كبيراً بالعلوم والمعارف³، إذ نراه كان حريصاً على اقتناء المصنفات والمؤلفات المهمة في العلوم القديمة فبعث الرسل إلى ديار المشرق لاسيما العراق وبلاد الشام ومصر للحصول على نواذر الكتب⁴ أما الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) فقد عرف عنه الاهتمام الكبير بالعلم وأهله وكان هو نفسه عالماً شغوفاً بالعلوم، كما كان الخليفة

1- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ/1992م، ج10، ص57.

2- عبد الرحمان بن أبي حاتم الرازي: آداب الشافعي ومناقبه، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م، ص244.

3- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص108.

4- المصدر نفسه: ص108.

حريصا على اقتناء دواوين العلوم¹، وقد كان الخليفة الحكم المستنصر يحرص على جمع الكتب مهما كانت أثمانها².

كما لقي العلماء في ظلّه الكثير من الإقبال والتكريم³، ولذلك نهضت الأندلس علميا في شتى الميادين وتألّق فيها نابھون في كل فروع المعرفة التي تمثل ثقافة الأندلسيين منها علم الأعشاب والعقاقير الطبية.

وفي عهد ملوك الطوائف (422هـ/484هـ-1091/1031م) استمر حكام الطوائف بالاهتمام بالآداب والعلوم وتشجيعها، فعلى الرغم من التطاحن الذي كان بينهم إلا أنه قامت بينهم منافسة حامية في تشجيع نشاط حركة الآداب والعلوم، كما سارت الحركة العلمية بالنمو، رعاها الخلفاء الموحدون والمسؤولون فيهم وظهر الإنتاج الكبير في كل ميدان من ميادين الحركة العلمية⁴، ولاسيما في ميدان الطب وعلم الصيدلة.

واستمر الأمر حتى بعد انحسار السيادة العربية الإسلامية من بلاد الأندلس وتشكيل سلطنه غرناطة في الركن الجنوبي الشرقي من شبة الجزيرة الإيبيرية إذ ظل تشجيع الحكام والأمراء للعلم والمعرفة كبيرا، ففي العلوم المتعددة قدمت التآليف الكثيرة والإنتاج الضخم كما أنشأت المدارس ومعاهد العلم في كل مدينة خاضعة لسلطانه غرناطة.

1- أبو عبد الله محمد بن الفتوح الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص13.

2- الحميدي: المصدر نفسه، ص3.

3- أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ابن الآبار: الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963م، ج1، صص 203-204.

4- أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، ج1، ص215.

ثالثاً: العوامل الطبيعية

إن بيئة الأندلس الجغرافية كانت حافزا مهما في نشأة وتطور علم الأعشاب والصيدلة في الأندلس، كيف لا، وقد أصبح معروفا لدى الباحثين أن البيئة الجغرافية ونشأة وتطور العلوم مرتبطان معا، فطبيعة البلاد من حيث التربة والمناخ والموارد المائية والثروات المتنوعة كلها محفزات للسكان في التوجه أولاً للاستفادة من هذه النعم في مجالات مختلفة تم تسخيرها لخدمة معاشهم وصحتهم وأحوالهم كلها، وهذا ما نجده في الأندلس التي امتازت بحسب قول ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م) "بتنوع طبيعتها، وثراء بيئتها بكل أنواع العقاقير الدوائية"¹. إذ استفاد أهلها من طبيعة بلادهم وثرواتها في ميدان علم الأعشاب والصيدلة.

ويمكن تصنيف العوامل الطبيعية على الشكل الآتي:

أ- المناخ:

لابد من الإشارة أولاً أن لموقع الأندلس الجغرافي اثر كبير في تنوع مناخها، إذ تقع شبه الجزيرة الإيبيرية في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية²، والبحار تطوف بها من كل جوانبها عدا جانب واحد وهو الشمال الشرقي حيث تحدها جبال البرانس الفاصلة بينها وبين فرنسا³، أما تلك المياه فهي مياه البحر المتوسط من المشرق⁴،

1- ابن الخطيب: اللحة البدرية في الدولة النصرية، تح: محي الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، 1937م، ص13.

2- أبو القاسم محمد بن علي النصيبي بن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص105.

3- البكري: المسالك والممالك، تح: عبد الرحمان علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة، بيروت، ج1، ص66-67.

4- أبو عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م، ج1، ص94.

ومياه المحيط الأطلسي أو بحر الظلمات من الغرب والشمال الغربي¹ ومن الشمال تحدها مياه بحر الانقليشين².

ويؤلف سطح شبه الجزيرة الإيبيرية هضاب عدة وسلاسل جبلية أهمها الهضبة الكبرى التي تشغل جزءا هاما من شبه الجزيرة الإيبيرية، ثم تأتي بعد ذلك سلاسل جبلية منها جبال سيرا نيفادا أو سيرامورنيا أي سلاسل السمرراء والعرب تسميها الشارات التي تفصل بين الهضبة وسلسلة جبال ثلجية تسمى (شليير)³، وجبل البرت وهو حد الأندلس عند الركن الشرقي ويفصل بين بلاد الأندلس وبين الأرض الكبيرة⁴ (فرنسا).

وقد قيل أن طول الأندلس من كنيسة الغراب التي على البحر المظلم إلى الجبل المسمى (بهيكل الزهرة) ألف ميل ومائة ميل وعرضها من كنيسة (شنت ياقوب على أنف بحر الانقليشين إلى مدينة المرية على بحر الشام ست مائه ميل⁵.

وقد اختلفت طباع هذه الأرض لسعة خطتها وأخذها من الأقاليم بخطوط، فمن أماكنها المعتدل وغير المعتدل، ومائلا إلى البرد وقد خصها الله من الري، وغدق السقية ولذاذة الأقوات، وفراهة الحيوان، ودرور الفواكه، وكثرة المياه⁶.

1- البكري: المسالك والممالك، ج1، ص67.

2- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989م، ج2، ص535.

3- البكري: المسالك والممالك، ج1، ص85.

4- البكري: المسالك والممالك، ج1، ص84.

5- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص535.

6- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام -تاريخ إسبانيا الإسلامية-، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ج2، ص5.

سواحلها الشرقية والجنوبية الشرقية ذات مناخ معتدل. أما الأقاليم التي تقع ضمن الهضبة الكبرى فهي أقل حظاً إذ يغلب عليها المناخ القاري فهو في الشتاء شديد البرد كثير العواصف الثلجية، وهو في الصيف شديد الحرارة¹. ويمكن القول أن هذا التنوع المناخي لا بد من أن يؤثر في نسبة المواد العلاجية في النباتات والأعشاب الطبية، فالعوامل المناخية من كمية المطر ودرجة الحرارة والقرب والبعد عن خط الاستواء، والارتفاع عن مستوى سطح البحر تؤثر، كما هو معروف على احتياجات النمو وكمية المواد الفعالة في النباتات والأعشاب الطبية فمثلاً يحتاج نبات اسطير أطيغوس² ونبات القرقة³ إلى درجات حرارة عالية، بينما لا تستطيع نباتات أخرى تحملها، وكثيراً من النباتات تنمو جيداً تحت أشعة الشمس مباشرة، بينما بعضها يحتاج إلى مزيد من الظل، وهكذا ولتوفر مثل هذه الأجواء المناخية في الأندلس نمت أعشاب ونباتات طبية متنوعة في تلك البلاد.

ب - التربة:

تعد شبه الجزيرة الإيبيرية من المناطق التي تسود بها أنواع مختلفة من التربة تبعاً لتنوع السطح واختلافه من حيث السهول والجبال والأودية، وما يهمنا هو معرفة نوعية تربة الأراضي الصالحة للزراعة لنمو الأعشاب والنباتات الطبية.

1- شكيب أرسلان: الحل السندسية في الأخبار والآثار والعباد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج1، ص135.

2- اسطير أطيغوس هو نبات له ساق خشنة على طرفها زهر أصفر شبيه بزهر البابونج، وله ورق مشقة ورؤوس شبيهة في شكلها بالكواكب، ورق هذا النبات ينفع من التهاب والأورام العارضة في العين، وإذا شرب بالماء نفع من الخناق والصرع العارض للصبيان، ينظر: عبد الرحمان بن محمد بن عبد الكبير بن واد: الأدوية المفردة، تح: أحمد حسن بسبج، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000م، ص101.

3- القرقة شجر ينبت فوق البحار، غليظ الساق قشره وخشبة أبيض وورقه مثل ورق اللوز لاشوك له يحمل حطبة في السفن إلى المدن والقرى لطيب رائحته ومنفعته، فإذا سحق وشرب نفع إسهال البطن، ينظر: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار الملقب: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م، ج4، ص17.

لقد وردت إشارات غير تفصيلية وعامة في كتب الجغرافيا عن نوعية وطبيعة التربة في بلاد الأندلس، فقد تحدث الإصطخري (توفي في النصف الأول من القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي) عن الأندلس قائلاً: "كثيرة المدن، خصبة واسعة"¹، والأندلس بقعة كريمة، طيبة التربة وهذه الصفات عند أهل الفلاحة تعني كثرة الزرع وخضارته².

أما عن نوعية التربة فهي متنوعة في الأندلس فقد ذكر الإدريسي مثلاً: "أن تربة جبل الشريف حمراء"³، والتي خاصيتها أنها تصلح للزرع لا للشجر.

ج- الموارد المائية

تعد الموارد المائية (الأنهار - العيون - الأمطار) من أهم العوامل التي تؤثر في نمو الكثير من النباتات والأعشاب الطبية فالمعروف أن وفرة المياه تؤثر في نسبة المواد الطبية للنباتات. لذا سنعطي نبذة مختصرة عن مصادر الموارد المائية في بلاد الأندلس باعتبارها إحدى المحفزات التي أسهمت في تطور علم الأعشاب والصيدلة. لقد امتازت بلاد الأندلس بوفرة المياه لتعدد مصادرها منها: الأنهار، قال تعالى: ﴿وَألقى في الأرض رواسي أن تُمِيدَ بكم وانهارا وسبلاً﴾⁴.

وقال: "لكن للذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار"⁵، فالأندلس شبه جزيرة أهدقت بها الأنهار والبحار، ووصفت الأندلس بوفرة المياه وبأنها كثيرة المياه غزيرة الأنهار، وصل عدد الأنهار فيها حوالي أربعين نهراً، أهمها: نهر الوادي الكبير، وهذا النهر يروي أكثر أراضي السهل الجنوبي ويمر بالمدينتين الأندلسيتين -

1- ابن حوقل: صورة الأرض، ص105.

2- مؤلف مجهول: مفتاح الراحة لأهل الملاحة، تح: عيسى صالحية وإحسان صديقي العمر، الكويت، 1984م، ص 13.

3- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج2، ص541.

4- سورة النحل، الآية: 65.

5- سورة ال عمران، الآية: 198.

قرطبة واشبيلية- ثم يصب غرباً إلى المحيط الأطلسي، ثم يلي الوادي الكبير شمالاً نهر وادي يانه¹.

ومن الموارد المائية العيون والآبار والأمطار، وعليها يعتمد في إرواء الكثير من الأعشاب والنباتات الطبية، فمن المدن التي تعتمد في سقيها للأعشاب والنباتات الطبية وغير الطبية على العيون، مدينة لبله²، و"هي مدينة كثيرة الخيرات فائضة البركات لها نهر فيه ثلاث عيون أحداها عين لهسر أغزرها وأصلحها ماء"³.

وهناك مدن أندلسية تتوفر فيها المياه عن طريق وجود آبار وأمطار منها، مدينة التوبة وهي جزيرة بالأندلس على البحر المحيط يحيط بها خليج بها آبار عذبة يعتمدون عليها في زراعة الكثير من العقاقير الطبية⁴.

أما مدينة قرطاجنة⁵ فإن النباتات الطبية التي تزرع هناك "تكتفي بمطرة واحدة"⁶.

ولابد من الإشارة انه رغم وفرة الموارد المائية في بلاد الأندلس التي ساعدت على نمو النباتات الطبيعية وزراعة العديد من المحاصيل الزراعية إلا أنه في نفس الوقت مراعاة كمية المياه المطلوبة لكل نبات إذ تعد كمية المياه من العوامل التي تؤثر في زراعة النباتات الطبية.

-
- 1- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج2، ص541؛ والمقري: نفح الطيب، ج1، ص146.
 - 2- لبله قسبة كورة في الاندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونيه، وهي في الشرق من اكشونية والغرب من قرطبة ومعناها في الاسبانية الضباب، ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، دار العلم للطباعة، لبنان، 1975م، ص 508.
 - 3- زكريا بن محمد القزويني: آثار البلاد في أخبار العباد، بيروت، 1956م، ص555.
 - 4- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص64.
 - 5- قرطاجنة: مدينة بالأندلس عجيبة البناء ومن مدنها جنجالة وفليان ولورقة. ينظر: مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح وتر: لويس تولينا، مدريد، 1903م، ص76.
 - 6- المقري نفح الطيب، ج1، ص2.

وهكذا نرى أن شبة الجزيرة الإيبيرية باختلاف تضاريسها ومناخها وتربتها ووفرة مياهها عدت من بين أخصب بقاع العالم وأحسنها ملائمة لزراعة النباتات الطبية بل ووفرة العقاقير النباتية الخام والحيوانية والمعدنية أيضا.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن أهم أسباب ازدهار الطب في الأندلس ما يلي:

1. اهتمام الخلفاء والحكام الأندلسيين بالطب والعلوم، ودعمها وتقديرها.
2. بيئة الأندلس الخصبة وما تمتاز به من أعشاب وأشجار وحياة متنوعة التي تساعد على العلوم الطبية.
3. توجه علماء الأندلس إلى قراءة المصنفات المختلفة في شتى بقاع الأرض والاستفادة مما جاء فيها.
4. التنافس العلمي والسعي إلى التقدم والابتكار الفكري والعلمي.

المبحث الثاني: أطباء وصيدلة الأندلس وإنجازاتهم

زخرت بلاد الأندلس بالعديد من الأطباء والصيدلة، مما أهلها أن تكون حاضرة
لعلم الطب وقبلة لطالبيه

المطلب الأول: أهم الأطباء والصيدلة في بلاد الأندلس

أنجبت مدن الأندلس مشاهير الأطباء والصيدلة أثناء الازدهار الحضاري في
عهد الإمارة والخلافة، ولقد عدد "ابن ججل" في كتابه "طبقات الأطباء والحكماء" ثلاثة
وعشرون طبيباً في الطبقة الأندلسية، وذكر "ابن أبي أصيبعة" في كتابه "عيون الأنباء
في طبقات الأطباء" ثمانية وثمانون طبيباً، ونظراً لكثرة عدد الأطباء في بلاد الأندلس
نقتصر على ذكر أربعة منهم:

أ- ابن ججل:

هو سليمان بن حسان الطبيب الأندلسي المعروف بابن ججل، ولد بقرطبة عام
(329هـ/940م) عني بعلم الطب فغلب عليه وعرف به وبلغ منه الغاية، طلبه وهو
ابن أربع عشرة، وأفتى فيه وهو ابن أربعة وعشرين، وكان طبيباً فاضلاً خبيراً
بالمعالجات، جيد التصرف في صناعة الطب، وله بصيرة واعتناء بقوى الأدوية
المفردة. (ت383هـ/994م)¹.

ب- أبو جعفر الغافقي:

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن السيد الغافقي، ولد بقرطبة، إمام
فاضل وحكيم عالم، ويعد من الأكابر في الأندلس، وكان أعرف زمانه بقوى الأدوية
المفردة ومنافعها وخواصها وأعيانها ومعرفة أسمائها، توفي عام 560هـ/1165م².

1- عبد الحليم المنتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط8، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص75.

2- المقري: نفح الطيب، ج2، ص691.

ج- ابن رشد:

هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، ولد بقرطبة (520هـ/1129م)؛ اشتهر بالفضل وتحصيل العلوم التي من بينها علم الفقه والخلاف، وكان أيضا متميزا في الطب وهو جيد التصنيف، حسن المعاني، توفي بمراكش عام (595هـ/1198م)¹.

د- أبو القاسم الزهراوي:

أبو القاسم خلف بن عباس الشهير بالزهراوي، ولد بمدينة الزهراء بقرطبة عام (327هـ/936م) هو عالم وطبيب عربي من علماء الجراحة. طور صناعة الأدوات الجراحية حتى أطلق عليه لقب "أبو الجراحة الحديثة"²، ويعد من أعظم الجراحين الذين أنجبتهم البشرية عبر العصور والأزمان، فهو رائد علم الجراحة الذي تمكن من اختراع أولى أدوات الجراحة كالمشرط والمقص الجراحي، كما وضع الأسس والقوانين للجراحة، والتي من أهمها ربط الأوعية لمنع نزيفها، واختراع خيوط الجراحة، فكان أحد العلماء الأعلام التي سعدت بهم الإنسانية، توفي في قرطبة عام (404هـ/1013م)³.

1- أحمد بن أبي القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج1، ص 530.

2- عبد الرزاق المسعود السعيد: رواد الطب عند المسلمين والعرب، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان-الأردن، 2001م، ص1.

3- الزركلي: الأعلام، ج2، ص310.

المطلب الثاني: أبرز انجازات الأطباء والصيادلة في الأندلس

اهتم أهل الأندلس بدراسة الصيدلة والطب وقدموا خدمات جليلة للإنسانية لا تزال أصدائها في جميع جامعات العالم يستذكرون أطباء وصيادلة الأندلس ومكتشفاتهم ومؤلفاتهم التي ترجمت إلى كل لغات العالم نذكر فيما يلي قائمة بمشاهير الأطباء والصيادلة الأندلسيين ومؤلفاتهم:

أ- مؤلفات ابن جليل الأندلسي:

- تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس Dioscorides.
- مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديوسقوريدس Dioscorides في كتابه: مما يستعملها في صناعة الطب وينتفع بها وما لا يستعملها كي لا يغفلا عن ذكرها.
- مقالة في أدوية الترياق.
- إرسال التبیین فيما قالت فيه بعض المتطبیین (مفقود).
- طبقات الأطباء والحكماء، ألفه سنة (377هـ/987م).
- تفسير المقالات الخمس من كتاب ديسقوريدس.

وهناك مقالات ودراسات عديدة كتبت عن ابن جليل من العرب والمستشرقين أمثال الإسباني خوان بيرنيتو يا بيرو رويت¹.

1- محمد بشير حسن راضي العامري: فصول وإبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، ص13.

ب- مؤلفات أبو جعفر الغافقي:

- كتاب الأدوية المفردة (مخطوط موجود في مكتبة غوطة بألمانيا)، فقد اعتبر المستشرق مايرهوف أن الغافقي أكثر الصيادلة العرب أصالة وأحسن عالم نباتي في العصر الوسيط¹.

ج- مؤلفات ابن رشد القرطبي:

- كتاب الكليات في الطب، وله نسخ في مكتبات عديدة.
- كتاب الفصل المقال.
- كتاب شرح أرجوزة ابن سينا في الطلب أو ألفية ابن سينا.
- مقالة في الترياق.
- تلخيص كتاب الحميات لجالينوس.
- كتاب شفاء الأسقام ومدى الآلام².

د- إنجازات الزهراوي:

قام الزهراوي بتصميم العديد من الأدوات والأجهزة الطبية المتنوعة، والتي ما زالت تُستخدم حتى وقتنا الحالي ولم تشهد سوى تغييرات طفيفة، وقد اشتمل مخطوطه (التصريف لمن عجز عن التأليف) على ما يزيد عن مائتي أداة جراحية مع الشرح بالرسومات التوضيحية، ومن أشهر أمثلة هذه الأدوات؛ آلة رقيقة مُصنَّعة من الفضة أو النحاس تُستخدم لإزاحة اللسان للأسفل لتشخيص أمراض الحلق. ولإجراء عملية استئصال اللوزتين؛ تلك الأداة التي تُعرف الآن باسم خافض اللسان)، واختراعه الآلة المستخدمة في استئصال الزوائد اللحمية في الأنف والتي

1- العامري: المرجع نفسه، ص14.

2- العامري: المرجع نفسه، ص15.

عرفها باسم (السنانير Polip)، كما ابتكر أيضاً آلة سماها (لولبا) للكشف على الرحم؛ وتعرف الآن ب: المنظار المهبطي المُستخدم في الفحص النسائي حتى الوقت الحالي (المشارط) على اختلاف أنواعها و(المقصات الجراحية المختلفة، و(الجفت)، وكذلك (الكلايب) التي تُستخدم في خلع الأسنان الخطافات المزدوجة التي تُستخدم في العمليات الجراحية، (مناشير العظام).

كما يُنسب للزهراوي الحقنة العادية والتي سماها (الزراقة) والحقنة الشرجية Bulb syringe)، وغيرها الكثير والكثير من الأدوات الطبية، والتي أصبحت النواة التي طُوِّرت بعد ذلك يقرون لتصبح الأدوات الجراحية المختلفة الحديثة¹.

للزهراوي إضافات مهمة جداً في علم طب الأسنان وجراحة الفكين، وقد أفرد لهذا الاختصاص فصلاً خاصاً به، شرح فيه كيفية قلع الأسنان بلطف، وأسباب كسور الفك أثناء القلع، وطرق استخراج جذور الأضراس، وطرق تنظيف الأسنان، وعلاج كسور الفكين والأضراس النابتة في غير مكانها.

وبرع في تقويم الأسنان فيقول عن قلع الأسنان: ينبغي أن تعالج الضرس من وجعه بكل حيلة، ويتوانى عن قلعه؛ إذ ليس منه خيف إذا قلع، "ثم يشير في حذق إلى أنه " كثيراً ما يخدع العليل المرض، ويظن أنه في الضرس الصحيح فيقلعها ثم لا يذهب الوجع حتى يقلع الضرس المريض، وهكذا يصف الزهراوي ربما لأول مرة في التاريخ الطبي الألم المتنقل وخطره؛ مما يضعه على مستوى عصري حتى اليوم"².

1- جاك س ريسلر: الحضارة العربية، تر: غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، د.ت، ص207-208.

2- محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة، والعلوم، د.م، د.ت، ص201.

عرفت الأندلس تطوراً علمياً كبيراً في شتى المجالات، والطب ليس استثناء من ذلك، فقد شهدت دولة الأندلس تطوراً طبياً عظيماً نتج عنه إرث طبي عالمي نرى آثاره وفوائده إلى يومنا هذا.

الفصل الثاني:

التعريف بابن البيطار

المبحث الأول: حياة ابن البيطار

المطلب الأول: مولد ابن البيطار

المطلب الثاني: نشأته العلمية

المطلب الثالث: وفاته

المبحث الثاني: طلبه للعلم

المطلب الأول: شيوخه

المطلب الثاني: المنهج العلمي عند ابن البيطار

المطلب الثالث: رحلاته العلمية

رصدت العديد من كتب التراجم حياة ابن البيطار سواء من المعاصرين له كتلميذه ابن أبي أصيبعة أو ممن أتى بعده مثل الإمام الذهبي المقرئ التلمساني، وغيرهم الكثير من أصحاب السير. وخير من تحدث عنه؛ وكل من أتى بعده أخذ من ترجمته، هو تلميذ ابن البيطار، ويكنى ابن أبي أصيبعة¹.

فمن هو ابن البيطار؟ وكيف كانت نشأته العلمية؟ وما المنهج العلمي الذي اتبعه في كتاباته؟

المبحث الأول: حياة ابن البيطار

المطلب الأول: مولد ابن البيطار

هو أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، المعروف بابن البيطار إمام النباتيين وشيخ العشابين² ولد في (593 هـ - 1197 م) بضاحية قريبة من مدينة مالقة المطلة على الشاطئ الجنوبي شرقي جبل طارق بإسبانيا، وقد يكون أبوه أحمد ممن احترف مهنة تربية الخيل أو مداواة أمراضها فعرف بهذه المهنة وبين الطب البشري والطب البيطري تقارب في ممارسة هاتين الصناعتين³.

وذكر ابن أبي أصيبعة: "هو ضياء الدين ابن البيطار، هو الحكيم الأجل العالم أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي النباتي ويعرف بابن البيطار، أوجد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات، وتحقيقه واختياره، ومواضع نباته، ونعت أسمائه علي اختلافها

1- ابن أبي أصيبعة (596-668هـ/1200-1270م): موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة: طبيب ومؤرخ وأديب ولد بدمشق وتوفي بصرخد من أعمال جبال الدروز في سوريا، وقد جاوز السبعين، ومن تصانيفه "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء"، وكان أول طبعة لهذا الكتاب في عام 1882م علي يد امرؤ القيس بن الطحان في جزئين. ينظر: فاطمة محجوب: الموسوعة الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1990م، ص110.

2- صفدي: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ج17، ص: 30.

3 كمال السامرائي وآخرون: ابن البيطار وأثره في الطب والصيدلة -دراسة تراثية علمية-، تق: خالص حسني الأشعب، منشورات مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 1988م، ص9.

وتتوعها¹، وقد أثنى ابن البيطار كل ما قاله الأطباء اليونان وخاصة ديسقوريدس²، وجالينوس³، وكان إتقانه لصيدلتها إتقاناً لا يُجاريه أي عالم من علماء عصره، فيقول ابن أبي أصيبعة: "وأثنى دراية كتاب ديسقوريدس إتقاناً بلغ فيه إلى أن لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه، وذلك أنني وجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات، وفي نقل ما ذكره ديسقوريدس جالينوس فيه ما يتعجب منه"⁴.

ومعرفة ابن البيطار باللغة اليونانية جعلته أكثر إتقاناً من سابقيه ومعاصريه من الأطباء، حتى من أصحاب السير الذين صحح لهم الكثير من مسمياتهم للعديد من الأدوية، والذين عنهم كان الأطباء العرب والمسلمون ينقلون عن اللسان اليوناني، ومن هؤلاء التراجمة "حنين ابن اسحق" و"اصطف بن بسيل"، فيقول ابن أبي أصيبعة: "وكننت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة مثل كُتب ديسقوريدس جالينوس والغافقي وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن، فكان يذكر أول ما قاله "ديسقوريدس" في كتابه باللفظ اليوناني علي ما قد صححه في بلاد الروم.

ثم يذكر جملة ما قاله "ديسقوريدس" من نعته وصفته وأفعاله، ويذكر أيضاً ما قاله جالينوس: "فيه من نعته ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك"⁵، ومع ما يذكره من أقوال "ديسقوريدس" و"جالينوس"، فيذكر في أي مقالة هذا الدواء وترتيبه في أي عدد هو من جملة أدوية هذه المقالة، فيقول ابن أبي أصيبعة: "وأعجب من ذلك أيضاً أنه كان ما

1- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج1، ص601.

2- ديسقوريدس: من أهل عين زربة (بلد بئر من نواحي المصيصة في قليقيا)، شامي يوناني حشائشي وهو أعلم من تكلم في أصل علاج الطب وهو العلم في العقاقير المفردة وألف كتاب (المقالات الخمس). ابن جلجل: طبقات الحكماء، ص21.

3- جالينوس: ولد حوالي 130م في برغامس في ميسيا (جزيرة في بحر قسطنطينية) توفي حوالي سنة 200م برع في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية، لم يسبقه أحد إلى علم التشريح له العديد من المؤلفات منها: كتابه الأدوية المفردة. ينظر: ابن جلجل: المصدر نفسه، ص41.

4- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج1، ص601.

5- المصدر نفسه، ج1، ص601.

يذكر دواء إلا ويعين في أي مقاله هو من كتاب ديسقوريدس جالينوس، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة¹.

ومع ولع ابن البيطار بالعلم اليوناني لما فيه من سبق والمرجعية في هذا الفن، إلا أنه ذكر أدوية لم يذكرها ديسقوريدس أو جالينوس، وذكرها العلماء العرب، فلم يبخس حقهم في سبق والتفرد بذكرها في العديد من المواد التي كانت إضافة للعرب في رصيد الصيدلة العربية. فيقول ابن أبي أصيبعة: "ويذكر أيضا جملا من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه، ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته، فكنت أراجع تلك الكتب معه ولا أجده يغادر شيئا مما فيها"².

يقول "المقري" في ترجمته لابن البيطار: "ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقي نزيل القاهرة"³.

ويقول الذهبي: "ابن البيطار العلامة ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي النباتي الطبيب ابن البيطار مصنف كتاب الأدوية المفردة، وما صنف في معناه مثله، انتهت إليه معرفة الحشائش وسافر إلى أقاصي بلاد الروم، وحرر شأن النبات وكان أحد الأذكىاء، وخدم الملك الكامل وابنه الملك الصالح، توفي بدمشق سنة 646هـ"⁴.

1- نفسه، ج1، ص601.

2- نفسه، ج1، ص601.

3- المقري: نفح الطيب، ج2، ص691.

4- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص256.

المطلب الثاني: النشأة العلمية

تعتبر النشأة العلمية من أهم الأسس التي يُبنى عليها أي علم، وتنقسم النشأة العلمية عند ابن البيطار إلى ثلاثة مراحل:

مرحلة الطفولة والنشأة، ثم مرحلة التلمذة على أساتذته في أشبيلية في علم النبات، ثم تأتي المرحلة الثالثة والأخيرة وهي مرحلة الأستاذية، وتعليم الآخرين، وسنتناول كل مرحلة على حده لنبين أثر كل مرحلة في علم وفكر ابن البيطار.

المرحلة الأولى: مرحلة الطفولة والنشأة

وهي مرحلة الطفولة والنشأة في كنف أسرته، والتي وصفت في العديد من المصادر القديمة والحديثة بأنها أسرة "بيت علم ودين" و"أسرة ذات عناية ودراية"، وهذه المسميات لصفات جامعة وشاملة لكل الأخلاق الحميدة والحرص الشديد على التعلم، وليس فقط التعلم، ولكن لكي يكون كل فرد فيها له هدف وغاية يسعى للوصول إليها. وكان أغلب أسرة ابن البيطار تهتم برواية الأحاديث والعلوم الشرعية واللغوية، باستثناء ابن البيطار والذي نحى منحى مغايراً لأسرته مختاراً العلوم الدنيوية ألا وهو طب الأبدان والأدوية وأصل سلف هذه العائلة من وادي الحجارة ثم نزلوا غرناطة ثم انتقلوا إلى مالقة¹.

المرحلة الثانية: مرحلة التلمذة علي يد أساتذته

فقد ذكر "ابن البيطار" في كتابه "الجامع" أساتذته اللذين تعلم علي أيديهم في مدينة أشبيلية في مادة "سطرونيون" فيقول: "سطرونيون فسرهم حنين" في الثانية من مفردات جالينوس بالكندس، وهو بعيد عن الصواب وكذا كل من قال بقوله أيضاً في هذا الدواء لأن الكندس مشهور ولا يستعمل منه في الشراب المقدار المستعمل من سطرونيون ولا يغسل به الصوف أيضاً كما يغسل بسطرونيون الذي هو عند مشايخنا

1- ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م، ص17.

التقارب في هذه الصناعة من أهل الأندلس منهم أبو العباس النباتي، وعبد الله بن صالح الكتاني، وابن حجاج الأشبيلي¹.

وفي هذه المرحلة تكونت عند ابن البيطار البذرة الأولى في علم الأدوية على يد مشايخه، والتي لا تتعدى مجرد تلقي العلم مع الجدية في محاولة النبوغ فيه، واتخاذ لنفسه طريقا فيه والوصول بجد واجتهاد إلى منتهاه محاولا إضافة الجديد في هذا العلم، وألا يكون مجرد مُتلقٍ أو مُلم جيد فقط لتجارب الأقدمين ولكن أن يكون له إضافة وإسهام جيد في حقله العلمي.

المرحلة الثالثة: مرحلة الأستاذية

فهي آخر درجة في السلم العلمي، والتي يصل إليها العالم، ويكون فيها قد وصل إلى أقصى غايات التمكن والفهم لكل مفردات علمه دون افتقاد لأي عنصر من عناصره، وقد عددنا الصفات الكثيرة التي قالها ابن أبي أصيبعة عن علمية ابن البيطار وتمكنه من مفردات علمه، ومن هذه المفردات: حفظه وإلمامه بكل ما قاله الأقدمون بمفرداتهم الدوائية ومؤلفاتهم الصيدلية وفي أي مقالة أو جزء هذا الدواء من جملة أدوية تلك المقالة كل ذلك عن ظهر قلب، فيقول "ابن أبي أصيبعة" فكنت أراجع تلك الكتب معه ولا أجده يغادر شيئا مما فيها².

ومن هذه المفردات أيضا الذكاء والفتنة والدراية في علمه وغازرته، وقد أفردنا لتلك الصفات ومدى تمكن ابن البيطار منها، كل هذه المفردات هي التي تُفرق بين العالم المبدع وبين غيره من المسميات، ولا تكون مرحلة الأستاذية درجة يقف عليها العالم ويكتفي بما اكتسبه من العلم بل هي بداية التعلم، فابن البيطار كان دائما في رحلات تعشيبية مع تلامذته يكتشف نباتات جديدة، ويدرس النباتات القديمة في بيئاتها

1 - ابن البيطار: جامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص17.

2 - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص601.

الطبيعية ليتعرف عليها تلامذته في حالاتها المختلفة، ولم ينقطع من هذه الرحلات حتى يوم وفاته، فالعالم دائماً في حالة تعلم مستمر، والعالم الذي يغتر بعلمه يضع نهاية لتفردته وتقدمه العلمي.

المطلب الثالث: وفاته

أجمعت معظم المصادر أنه تُوفي سنة (646هـ) في دمشق فجأة ولكن كيف مات! لم يرد في معظم المصادر كيف حدثت الوفاة، إلا في مرجع وحيد ذكر رواية غريبة عن قصة وفاة ابن البيطار، ولا يوجد ثمة مصدر آخر يؤيد هذه الرواية، حيث ذكر ابن فضل الله العمري¹، في كتابه "مسالك الأبصار" قال: "قلت: ويحكى أنه سم نفسه فمات، حدثني الحكيم أمين الدين سليمان بن داود المتطبب قال: كان الملك الصالح قد أعطى ابن البيطار ألف دينار لينفقها على أثمان أدوية دعت إليها حاجته، واجتاء حشائش شامية ورومية، فلما أتى بيت المقدس رأى امرأة نصرانية اسمها مريم، فأحبها وأنفق عليها ذلك المال حتى أنفده وأهمل حاجة الملك الصالح، فلما قدم الملك الصالح إما قال: القدس، أو قال: دمشق، لم يكن لابن البيطار دأب ليله أراد الصالح يدخل البلد في صباحها إلا أنه أحضر النصرانية، وبات معها في أكل وشرب واستماع غناء واستمتاع حتى كان الثالث الآخر فأخرج حشيشة معه فسحقها في هون ثم استقها ونام، وقال: غطوني، ثم إذا أصبحت لا تسحقوا شيئاً في الهون حتى تجيدوا غسله فإنه قد صار مسموماً، فلم يفهموا مقاله إلى أن أصبحوا فرأوه ميتاً، ففهموا ما كان قاله، وغسلوا الهون، فلما دخل السلطان سأل عنه فحكيت إليه القصة فقال: لقد أساء بنا

1 فضل الله العمري: العالم الأديب المدقق والمحقق الأريب أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين، المؤرخ الحجة في معرفة المسالك والممالك، وخطوط الأقاليم والبلدان، وإمام الترس والإنتشاء، والعارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، وكان غزير المعرفة بالتاريخ ولا سيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيز خان إلى عصره. وقد ولد رحمه الله تعالى سنة 700هـ، وتوفي في دمشق سنة 749هـ. ينظر: أحمد بن يحيى فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م، ج8، ص6.

الظن وأين مثله لأشتره بشطر ملكي، والله لو علمت لأعطيته عشرة آلاف دينار يصرفها في لذته، وكان أمتعنا بنفسه"¹.

فهذه الرواية تتناقض مع منطق العقل، ومع الصفات الأخلاق والتدين الذي كان لشخصية ابن البيطار فلم يترك له صاحب القصة من فضيلة واحدة يتحلى بها ابن البيطار بعد موته ويُترحم بها عليه، فقد تُوفي حسب الرواية المفردة مرتكباً أبشع الموبقات من خيانة الأمانة والزنا والانتحار ومعاقرة الخمر وسماع اللهو، وهذه كلها تتنافي مع صفات عالم قدير بمنزلة ومكانة ابن البيطار.

1 فضل الله العمري المصدر نفسه، ج9، ص 614.

المبحث الثاني: طلبه للعلم

شيوخ طلب العلم يمثلون شخصيات معمقة تعبر عن تراث حضاري غني بالحكمة والتجربة، يتجاوز دورهم في مجرد نقل المعرفة إلى أبعاد أعمق من الفهم والتأمل في جوانب الحياة، بصفتهم حاملي الحكمة والعلم.

المطلب الأول: شيوخه

مما ساعد ابن البيطار على هذا المنحني المغاير لأسلافه تلمذته علي يد العالم النباتي الأندلسي "أبو العباس النباتي"¹ الذي لازمه أكثر من غيره، وكان تأثيره فيه كثيراً وكان ثمة أستاذين آخرين تتلمذ عليهما "ابن البيطار" وهما؛ "ابن الحجاج الإشبيلي" و"عبد الله بن صالح الكتامي"². حيث أوردت مصادرها كثيرة بأن؛ "ابن البيطار" كان يتلقى دروسه الميدانية عندما كان يتعشب مع أساتذته في ضواحي أشبيلية"³.

كان تأثير شيوخ ابن البيطار - وهما ابن الحجاج الإشبيلي⁴ وعبد الله بن صالح الكتامي - ضعيفا حيث أن ابن البيطار لم يذكرهما سوى في عدة مواد قليلة، بعكس تأثير استاذة أبو العباس النباتي فقد اعتمده ابن البيطار في كتابه "الجامع" في (31) مادة كمصدر وحيد بالإضافة إلى المواد التي تشارك فيها مع غيره من العلماء فعندما

1- أبو العباس النباتي (561-637هـ/ 1165-1239 م): هو أحمد بن محمد بن مفرح الأموي بالولاء الإشبيلي، أبو العباس النباتي العشاب، ويعرف بابن الرومية، واحد عصره في علمين انفرد بهما الحديث والاستكثار من روايته والنبات والبحث عنهما، ولد في أشبيلية وافتتح دكانا يبيع بها الحشائش. ينظر: الزركلي: الأعلام، ج1، ص218.

2- إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص171-172.

3- المرجع نفسه، ص171.

4- الحجاج الإشبيلي (ت 636هـ/ 1238م): هو يوسف ابن عتبة الإشبيلي، أبو الحجاج طبيب أديب، من شعراء الأندلس من أهل أشبيلية قال ابن سعيد: "كان حافظاً لفنون الآداب، مصنفاً فيها غير ما كتاب" وأورد رقائق من شعره، رحل عن الأندلس في أيام محمد بن يوسف واستقر في القاهرة، فكان فيها من أطباء المرستان وتوفي بها. ينظر: الزركلي: الأعلام، ج8، ص241.

رحل أستاذه "أبو العباس النباتي" تجاه المغرب ثم المشرق العربي عام 1217م، تبعه تلميذه ابن البيطار وذلك لمتابعة اكتشافاته العلمية بحرية وأمان بعيداً عن الجو السياسي المضطرب في الأندلس.

المطلب الثاني: المنهج العلمي عند ابن البيطار

لقد استخدم ابن البيطار في منهجه العلمي العديد من المناهج التي تهتم بالبحث العلمي أولها المنهج التجريبي الاستقرائي، وثانيها المنهج الوصفي.

أولاً: المنهج التجريبي

أورد ابن البيطار منهجه التجريبي واضحاً في مؤلفاته عامة، ومؤلفه الموسوعي: "الجامع" خاصةً، فمن السهل على أي باحث في مواد كتبه أن يعرف أين يجد الملاحظة، وأين التجربة، وأين الفرض.

وسوف نتناول بشيء من التفصيل خطوات المنهج التجريبي وتطبيقاتها على ابن البيطار من خلال مواد كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية".

خطوات المنهج التجريبي عند ابن البيطار:

نتناول فيما يلي مراحل هذه الخطوات ومدى تطبيقها على منهج ابن البيطار العلمي التجريبي.

1. الملاحظة:

الملاحظة هي المشاهدة الدقيقة للظواهر أو الوقائع الجزئية الموجودة في العالم الخارجي أو في الطبيعة¹، فلم يستخدم ابن البيطار لفظ الملاحظة، وإنما استعمل لفظ المشاهدة ولفظ النظر وهما بمعنى الملاحظة.

فقد ذكر ابن البيطار في مقدمة كتابه "الجامع" في الغرض الثاني: "فما صح عندي بالمشاهدة والنظر، وثبت لدى بالخبرة لا الخبر ادخرته كنزاً سرياً...، وما كان مخالفاً في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق، أو أن ناقله أو قائله عدلاً فيه عن سواء الطريق نبذته ظهرياً وهجرته ملياً"².

وتحقت تلك الخطوة في مواد كتابه "الجامع" فنجد مثلاً في مادة "أبو قابس" يقول ابن البيطار: "هو الغاسول الرومي شاهدت نباته ونبات الدواء الذي يذكر من بعده ببلاد أنطاليا، ورأيت أهل تلك البلاد يغسلون بأصولهما الثياب كما يفعل أهل الشام بأصول العرطنيثا"³، ونجد أيضاً في مادة "أكثرار": "(لي) شاهدت نباته بأرض الشام بموضع يُعرف "بعلمين العلماء" بين نبات الذرة، ورأيت أيضاً بموضع آخر من أرض الشام يعرف بقصر عفراء بقرية بالقرب من نوى"⁴.

نذكر ابن البيطار أولي خطوات البحث العلمي وهي الملاحظة (المشاهدة) في العديد من المواد في كتابه الجامع، وهي المواد التي أضافها ابن البيطار إلى رصيد الصيدلية العربية، سواء أكانت المواد الجديدة التي أضافها إلى المفردات الدوائية، أو الملاحظات التي أضافها إلى المفردات الدوائية إما لتصحيح خطأ أو إضافة معنى.

1- علي عبد المعطي محمد والسيد نقادي: المنطق وفلسفة العلم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، ص322.

2- ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص3.

3- المصدر نفسه، ج1، ص8-9.

4- المصدر نفسه، ج1، ص5.

2. التجربة:

تلعب التجربة في الصيدلة دوراً أساسياً في الوصول إلى اليقين بمدى نفع أو ضرر دواء ما فابن البيطار كان يتميز عن غيره من أطباء العرب، بأنه قد أعطى للتجربة اهتماماً كبيراً فقد ذكر في مقدمة كتابه "الجامع" بما يميز ابن البيطار عن غيره من الأطباء ومؤلفه "الجامع" خاصة عن غيره من المؤلفات: "وأودع فيه -أي الجامع- مع ذلك أغراضاً يتميز بها عما سواه ويفضل علي غيره بما أشتمل عليه وحواه"¹.

ولا يكتفي بمجرد اختبار الدواء مرة واحدة، ويُسَلِّم بصحته للاستعمال ولكنه في الأدوية الجديدة التي أضافها ابن البيطار لتراث الصيدلة العربية كان يجرب الدواء أكثر من مرة فقد قال في كتابه "الجامع" مادة "أطريلال": "وقد جربته غير مرة فصح فحمدت أثره وهو سر عجيب في هذا المرض، وقد رأيت تأثيره مختلفاً ففي بعض يُسرع انفعاله فيه في أول دُفْعة من شُرْبِهِ أو دُفْعَتَيْنِ أيضاً، وفي بعض أكثر من ذلك"².

وهذا التجريب ليس في الأدوية الجديدة التي أضافها ابن البيطار فقط، ولكن أيضاً في الأدوية القديمة والتي أدخلها جميعاً تحت تجربته الخاصة فقد ذكر في كتابه "الجامع" في الغرض الثاني "صحة النقل فيما اذكره عن الأقدمين، وأحرره عن المتأخرين فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي بالخبرة لا بالخبر ادخرته كنزاً سريراً"³.

وقد ظهرت التجربة واضحة في بعض المواد التي أضافها ابن البيطار إلى الصيدلة، والمواد التي عرّفها بنفسه عن اليونانيين بالإضافة إلى المواد التي اعتمدها لآخرين، واختبرها قبل أن يعتمدها لهم في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"،

1- المصدر نفسه، ج1، ص3.

2- المصدر نفسه، ج1، ص5.

3- المصدر نفسه، ج1، ص3.

وذكر ابن البيطار التجربة أيضاً في المواد التي أضافها إلى رصيد الصيدلة وعرفها بنفسه.

3. الفرض:

الفرض هو اقتراح مؤقت غرضه فهم أو تفسير الوقائع المشاهدة والمجربة قبل أن يعيد هذه الوقائع دليلاً عليه وبرهنةً علي صدقه، والفرض على هذا النحو يعبر عن اتجاه العقل نحو تفسير كل ما يلاحظ أو يجرب¹.

ولكن هل أخذ الفرض العلمي في التراث الإسلامي نفس المنزلة التي أخذها عند المناطقة المحدثون، "الفرض العلمي في تراث الحضارة الإسلامية كان أولياً في أغلب الأحيان، ولم يصل إلى مرتبة التعميم أو التجريد في صيغة قانون شامل أو نظرية عامة، ذلك لأن طبيعة علوم التراث الإسلامي يغلب عليها الجانب الوصفي أكثر من التعبير الكمي الذي يميز العلم عادة في مرحلة متقدمة من تطور هـ، كما في علوم الفيزياء والكيمياء الحديثة والمعاصرة"².

ثانياً: المنهج الوصفي

استخدم ابن البيطار المنهج الوصفي في مؤلفاته ليصف ما هو كائن ويفسره، فالمنهج الوصفي لا يقتصر على جميع البيانات وجعلها في أبواب عديدة، ولكنه أيضاً يتضمن قدراً كبيراً من التفسير لهذه البيانات، ويعتمد المنهج الوصفي على جمع المعلومات من أماكن تواجدها "باستخدام أساليب وأدوات متعددة من أشهرها الاستبيان والاستفتاء، والاختبارات والمقابلات ودراسة الحالة"³.

1- علي عبد المعطي محمد: المنطق وفلسفة العلم، ص343.

2- أحمد فؤاد باشا: دراسات إسلامية في الفكر العلمي، ط1، دار الهداية للطبع والنشر، القاهرة، 1997م، ص146.

3- محمد منير مرسى: البحث التربوي وكيف نفهمه، عالم الكتب، القاهرة، 1994م، ص280.

نجد أن ابن البيطار في أغلب مواد كتبه قد استخدم المنهج الوصفي، في كل مواد كتبه وخاصة في المواد التي أتى بها ابن البيطار بإسهامه في مجال الصيدلة بما يقرب من ثلاثمائة مادة جديدة استخدم فيها المنهج الوصفي، وكل ما أتى به من مواد قديمة أتى بها سابقوه وأخضعها ابن البيطار للتجربة وأثبت صحتها ونفعها وأقرها في كتبه، وأصلح أخطاءها حتى لا يزلَّ من يأتي بعده في صحتها ومنفعتها.

ولنأخذ مثلاً نبين فيه قمة المنهجية في الوصف في مادة " أترج"¹ -في كتاب ابن البيطار- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية: وقد بدأ بأبي حنيفة في الوصف البيئي للنبات أين يُوجد؟ وهل هو نبات حولي أو مُعمر من الأشجار التي تُغرس، وهل ورقها مستديم الخضرة وما شكله فيقول "أبو حنيفة" هو كثير بأرض العرب، وهو مما يُغرس غرساً ولا يكون برياً، وأخبرني بعض الأعراب بأن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل أي ثمر وحملها مرة واحدة في السنة وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة وفُقّاحه زهرته شبيهه بنور النرجس، وهو ذكي ولشجرة شوك حديدي.

مما سبق يتضح لنا مدى المنهجية العلمية التي كان يتمتع بها أسلوب ابن البيطار في استعراض أدوية كتابه الجامع، كأنه يُشرِّح الدواء بكل ما فيه من فوائد وهذه المنهجية العلمية التي اتبعها ابن البيطار تُعد قمة ما وصل إليه المنهج العلمي وتطبيقاته عند العرب والمسلمين.

المطلب الثالث: رحلاته العلمية

لم تكن هجرة ابن البيطار من الأندلس هرباً من أوضاع سيئة أحاطت بالحياة المعيشية التي كان يعيشها ابن البيطار في بلده مالقة فقط، ولكنها كانت أيضاً وفي الأساس هجرة لتحصيل العلم والتحقق تجريبياً من كل ما درسه على يد أساتذته في أشبيلية نظرياً، والوقوف على مسميات الأدوية المأخوذة عن اليونان مشافهة من علماء

1 -ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج 1، ص 13.

اليونان وبلغتهم، وذلك للوقوف على صحة هذه المسميات دون الاعتماد على نقل أصحاب السير والذين صحح أخطائهم في العديد من المواد التي ذكرها في كتابه "الجامع".

وقد ذكر ابن البيطار في العديد من المواد في كتابه "الجامع" المدن التي زارها ابن البيطار في خلال رحلاته العلمية فمثلا في مادة "بول الإبل": "ليس الأمر في هذا الدواء كما حكاه الزهراوي، وإنما هو شيء يوجد في مغاير في جبال مكة وغيرها قطع سوداء متحجرة تعرف بصن الوبر"¹.

وفي مادة "حزنبل": هذا النبات قد زعم قوم أنه الفاشرا وهو خطأ وإنما هو غيره وهو كثير بأرض الغور، وخاصة من الضيعة المعروفة بالجديدة إلى جسر الصنبرة إلى تل الثعالب مع ساحل بحيرة طبرية"².

مثال آخر: مادة "عافر قرحا": "وأول ما وقفت عليه وشاهدت نباته بأعمال افريقية -تونس حالياً- بظاهر مدينة يقال لها "قسطينة الهوى" بالجانب القبلي منها بموضع يعرف بضيعة "لواته" ومن هناك جمعته، عرفني به بعض العربان"³.

أولاً: الرحلات الداخلية:

مرت رحلات ابن البيطار العلمية من الأندلس إلى خارجها بعدة مراحل: أول هذه المراحل هي في محيط مدينته "مالقة" فقد قال في مادة "رعاد": "رأيت بساحل مدينتي" مالقة من بلاد الأندلس تجرف الجرافيف بها وتجعل في البحر فيخرج إليهم سمكة عريضة يسمونها العرونة، وهي مفرطحة الشكل كفعل ظاهرها لون رعاد مصر سواء وباطنها أبيض وفعلها في تخدير ماسكها كفعل رعاد مصر أو أشد إلا أنها لا تؤكل

1- المصدر نفسه، ج1، ص 174.

2 -المصدر نفسه، ج2 ص20.

3- المصدر نفسه، ج3، ص115.

البتة، ولقد بلغني ممن أثقه أن أقواماً كان بهم جهد ولم يعلموا أمرها فشورها وأكلوها فماتوا كلهم في ساعة واحدة"¹.

ثم بعد ذلك خرج ابن البيطار عن نطاق مدينته في رحلات شرق وغرب الأندلس، فقد ذكر في مادة "ذاقني الاسكندراني": "البَيْنْب أوله باء بواحدة مفتوحة ثم ياء باثنين من تحتها مضمومة ثم نون ساكنة بعدها باء بواحدة من أسفلها ساكنة ويُدبغ بها الجلود بغربي بلاد الأندلس"²، ونجد في مادة "غافث": "وأهل أطباء شرق الأندلس - أعاده الله إلى الإسلام- يسمونه "الزيمنده" بعجمية الأندلس"³.

ثم خرج من نطاق الأندلس ككل إلى الجزر القريبة من الأندلس، نجد ذلك في مادة "تراب الشاردة": "الشاردة جزيرة من جزائر بحر الروم وهي من أقاصي بحر الشرق في الأندلس بحذاء جزيرة يُقال لها "يابسة" أيضاً ليس فيها شيء من الهوام أصلاً، ولا من الوحوش البرية أعادهما الله للإسلام بكرمه"⁴.

ثانياً: الرحلات الخارجية:

ثم يأتي بعد ذلك مرحلة الخروج من الأندلس ككل إلى بلاد اليونان وإيطاليا وغيرهما من دول أوربا، وقد أعطى ابن البيطار أمثلة عديدة على رحلاته إلى تلك البلاد، فمثلاً نجد ذلك في مادة "صفيرا" يقال على الشجرة التي تصبغ الصباغون بخشبها، وأهل مصر يعرفونها "بعود القيسة وشجرته لا تسمو من الأرض كثيراً وورقها يشبه ورق الخرنوب الشامي سواء إلا أنه أمتن من ورق الخرنوب وفيه نقط سود وحمرة على أغصانه قشر إلى السواد هكذا رأيته في ببلاد انطاليا"⁵.

1- المصدر نفسه، ج2، ص141.

2- المصدر نفسه، ج2، ص122.

3- المصدر نفسه، ج3، ص144.

4- المصدر نفسه، ج1، ص137.

5- المصدر نفسه، ج3، ص85.

ونجد أيضاً في مادة "صغد": "أصول سود عليها عروق دقاق كالشعر طعمها أصل طعم الخرشف سواء وورقه مشوك شبيه بورق الإشيخيص الأبيض معروفة بالشام ومصر عند باعة العطر بها وقد شاهدت نباته ببلاد انطاليا على ما وصفته"¹.

ونجد أيضاً في مادة "طوفريوس": "هو نوع من الكمادريوس النعني يسميه أهل شرق الأندلس الشويعة، وهو باللاتينية "يربه أسلي" ومعناه عُشبة الطحال بها يُمحق الطحال شرباً، وقد جمعت هذا النبات ببلاد ايطاليا بتخوم أرض قلعة "قلحصارثلي"².

ثم عاد من رحلته في أوروبا إلى دول المغرب الأقصى، والتي ذكر رحلاته بها في العديد من المواد في كتابه "الجامع" من هذه المواد "لوز البربر" هذا هو الهرجان، والبربر بالمغرب الأقصى يسمونه أرجان، وهو شجر يكون بالمغرب الأقصى بقبيلة مراكش ببلاد "حاما وركراكا" كثير الشوك حديدة يمنع شوكه من الوصول إلى جني ثمرته، ويُستخرج من ثمرته دهن"³.

ثم وصل إلى مصر في عهد الملك الكامل الأيوبي، وألحقه الملك الكامل بخدمته، وعينه رئيساً على سائر العشابين، وكان يرافقه في رحلاته بين القاهرة ودمشق، ولقد ذكر ابن البيطار رحلاته في هذين البلدين في جميع أنحاءهما من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، فنجد مثلاً مصر قد ذكرها من الإسكندرية في الشمال حتى صعيد مصر في الجنوب، وذلك في العديد من المواد التي ذكرها ابن البيطار في كتابه "الجامع" فنجد مثلاً في مادة "فتائل الرهبان": "تُعرف هذه الحشيشة بالديار المصرية وخاصة بثغر الإسكندرية بالزنجيلية، وهي كثيرة بها على ساحل البحر، وكثيرة أيضاً بساحل غزة من أرض الشام، وقد جمعت من هناك مرة وعملت من لحاء أصوله مربى بالعسل، وكان من أبدع الأشياء وألذها طعاماً وأطيبها رائحة وهو

1- المصدر نفسه، ج3، ص84.

2- المصدر نفسه، ج3، ص105.

3- المصدر نفسه، ج4، ص112.

مُسَخَّن مطيب للنكهة والجشاء هاضم للطعام نافع من الإبردة مدر للبول مسخن للكلية والمثانة¹.

ونذكر أيضاً في مادة "ليقيه" منها شيء كثير ينبت بموضع من صعيد مصر يقال له زماخر ويسمونها باللويقة أيضاً، والشربة منه وزن ربع درهم فيُسهل إسهالاً ذريعاً وطعمها في غاية المرارة وجراؤها على حكم الخيار كما وصف².

أما في الشام فقد ذكره في العديد من المواد في كتابه "الجامع" في مواضع شتى من جبال وأودية، وقد ذكرنا في مادة "صفيرا" في المادة قبل السابقة موضع ساحل غزة من أرض الشام، ونجد أيضاً في مادة "زهرة": "وهو الذي يسميه شجارونا بالأندلس بالقرنفيلية، وقد شاهدت نباته ببلاد الشام بجبل بيروت بالضيعة المعروفة بكفر سلوان شمالي الضيعة المذكورة، وأكثر نباته هناك تحت شجر الأرز، وكذا الدرونج أيضاً هناك"³.

ونجد أيضاً في مادة "مشكطرا أمشير": "ومنه آخر يُعرف بالكاذب أكثر ما رأيته بأرض الشام وببلاد حماة كثيراً بأرضها إذا فركت شيئاً من ورقه أدني فرك أدني إليك رائحة الفودنج المعروف بحبق التمساح ويفترش علي الأرض في منبته وله زهر صغير أحمر قان ينبت في العمارات والحروث وفي الجبل أيضاً ورأيت منه نوعاً يُسمى بالنارجيل، وهو أكثر نباتاً من الذي ينبت بأرض حماة"⁴.

وحين دخل مصر عرفه أطباؤها عالماً كبيراً في الأدوية المستخلصة من النباتات وغيرها من مصادر الأدوية، ووصلت أخباره إلى حاكم البلاد الملك الكامل محمد بن أبي

1- المصدر نفسه، ج3، ص155.

2- المصدر نفسه، ج4، ص118.

3- المصدر نفسه، ج2، ص171.

4- المصدر نفسه، ج4، ص448.

بكر (ت 635هـ/1249م)، وقد وضع له أعظم مؤلفاته (الجامع) عربونا على امتنانه وولائه لهذا الحاكم الكريم.

ودخل ابن البيطار أيام حكم الملك الكامل مدينة دمشق فقصده الأطباء ليأخذوا عنه ما لم يلقوا عليه من العلاجات بالأدوية ومعرفة مفرداتها¹.

يتضح لنا مما سبق أن ابن البيطار مع ما وصل اليه من مكانة عظيمة بصفته رئيساً على سائر العشابين لم يركن إلى تلك الوظيفة بأعبائها الإدارية ومراقبة دكاكين الصيدلة وما فيها من أدوية فقط، ولكنه ظل في رحلات علمية حتى يوم وفاته، فهكذا دائماً العالم يؤمن بقيمة العلم وأهميته في الارتقاء بمستوى الحضارة الإنسانية وتطبيقاتها في الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات، فالعلم ليس وظيفة، ولكنه منْهَاج بحث وسعى دؤوب للوصول به إلى خدمة البشرية.

¹ كمال السامرائي وآخرون: ابن البيطار وأثره في الطب والصيدلة، ص10.

الفصل الثالث:

إسهامات ابن البيطار في مجال الطب والصيدلة ومكانته العلمية

المبحث الأول: إسهامات ابن البيطار في مجال الطب والصيدلة

المطلب الأول: مؤلفاته

المطلب الثاني: الملاحظات التي أضافها ابن البيطار إلى مجال

الطب والصيدلة العربية

المطلب الثالث: الأدوية المعدنية والحيوانية

المبحث الثاني: مكانة ابن البيطار في علم الطب والصيدلة

المطلب الأول: مكانة ابن البيطار بالنسبة لأساتذته ومعاصريه

وتلامذته

المطلب الثاني: أقوال التراجمة عن مكانة ابن البيطار

المطلب الثالث: مكانة ابن البيطار بالنسبة للصيدلة الحديثة

خلف ابن البيطار إرثاً ضخماً من إسهاماته في الصيدلة العربية من مؤلفات أقل ما وُصفت به بأنها مؤلفات موسوعية متعددة وخاصة كتابيه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"، فما هي أهم إنجازات ابن البيطار في الطب والصيدلة؟ وما هي أهم الإضافات التي قام بها؟

المبحث الأول: إسهامات ابن البيطار في مجال الطب والصيدلة

المطلب الأول: مؤلفاته

ترك لنا ابن البيطار -رحمه الله- كنزاً من المؤلفات الطبية، عدها ابن أبي أصيبعة فقال: "ولضيء الدين بن البيطار من الكتب: كتاب الإبانة والإعلام، بما في المنهاج من الخل والأوهام، شرح أدوية كتاب ديسقوريدس. كتاب الجامع في الأدوية المفردة، وقد استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها، وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه، ولم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه، وصنفه للملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل، كتاب المغني في الأدوية المفردة، وهو مرتب بحسب مداواة الأعضاء الآلئة، كتاب الأفعال القريبة والخواص العجيبة"¹.

1- الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخل والأوهام:

هو كتاب في مجال الطب وضعه ابن البيطار ليبين فيه أسلوبه العلمي في النقد وخاصة نقده لكتاب "ابن جزله" وهو "منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان" وينبه على ما وقع فيه ابن جزله وتابعه آخرون أخذوا عنه من غير تمحيص أو تجريب بسبب التوافق في التسمية بين العديد من الأدوية في لسانهم اليوناني، أو نسبة منفعة نوع من الأدوية بغير ذلك النوع بما ليس له من المنافع، ورتَّب ابن البيطار كتابه هذا

1- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 602.

على حروف المعجم ليسهل على الطالب الحصول على ما يرتجيه بدون عناء أو مشقة.

يقول ابن البيطار في مقدمة كتابه هذا، والذي يوضح فيه السبب الذي جعله يؤلف هذا الكتاب، ما نصه: "أوله: الحمد لله الذي أقام بلطيف حكمته بنية الإنسان واختص بما علمه من بديع البيان، وجعل له مما أنبتته الأرض دواء للأبدان...، وأتيت في ذلك على ما يُسر لي معتمداً علي يقين صحيح أو تجربة مشهودة أو علم متحقق مما ارجع فيه إلى أستاذي الأفاضل ديسقوريدس والمقتدي به الفاضل جالينوس، فإنهما مدد هذا العلم لكل من انتحله، وقدوة لمن علمه وحُجة على من جهله، وبَيَّنْتُ في ذلك على مواضع ذكر الأدوية المتكلم عليها في كتاب الأفاضل ديسقوريدس موسوماً بأعداد أرسما بالعربي ترشد على التراجم الواقعة في مقالات كتابه لأسهل على الطالب كشفها، ورُبما نقلت من كلامه في بعض الأدوية قواها ووصفها، وأنبه على المواضع التي وضعت فيه من كلام "جالينوس" بمثل ذلك من الأعداد المرشدة إلى مواضع الإطلاع ليهتدي الطالب إلى صحيح الأثر، ويصدق الخبر، والله ينفع من كان في شيء منه عوناً، ويجعله عائداً بالخير في الأولى والأخرى، إنه ولي ذلك وأعلم به"¹.

2- تفسير كتاب ديسقوريدس:

ابن البيطار ليس أول من تناول هذا الكتاب بالشرح والتفسير، ولكن سبقه كثيرون من أعلام الطب والصيدلة العربية، ولكن لكي يدلي ابن البيطار بدلوه، كان لابد أن يكون عنده الجديد والمتميز، والذي أغفله سابقوه في تفسيراتهم لأسماء أدوية ديسقوريدس، حيث يقول ابن البيطار في مقدمة كتابه "تفسير كتاب ديسقوريدس": "فإني لما وقفت من كتاب الفاضل ديسقوريدس على ما يَقْصُر عنه هم جماعة من

1- رزق عبد الرحمان محمود عبد الرحمان: مفهوم الصيدلة ومصادرها عند ابن البيطار، رسالة ماجستير، جامعة بنها-مصر، 2000م، ص ص 151-152.

المتشوقين، ورأيت استعجام أسماء أشجاره وحشائشه على كافة المتعلمين، وعامة الشادين¹، وتواري حقائقه عن غير واحد من الشجارين والمتطبيين، عزت² بعون الله تعالى على تقريب المرام في ترجمته وتسهيل الطلب في تفسير أسماء أدويته، لأكشف عن وجه مقاصده قناع عجمته، وأبرزه كالبدر في هالته، واعتمد في ذلك على ما تصفحته من كتب القدماء، وشافهت به أكابر العلماء، وربما ذكرت في بعض الأدوية ما يليق به في الأسماء البربرية واللاتينية، إذا كانت مستعملة في مصرنا، معروفه بين أهل عصرنا³.

3-الجامع لمفردات الأدوية والأغذية:

ألفه ابن البيطار في المرحلة المشرقية من حياته متنقلاً بين دمشق والقاهرة في عهد السلطان نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل، الذي أمره بوضع كتاب في الأدوية المفردة يكون مميزاً عما سبقه من كتب، ويشير ابن البيطار إلى ذلك في مقدمة كتابه الجامع: "فإنه لما رُسم بالأوامر الطاعة العالية المولوية السلطانية الأعظمية الملكية الصالحة النجمية لازالت نافذة في المغارب والمشارق، وأرزاقها شاملة لكافة الخلائق، وبواترها ماضية في قمم الأعداء والمفارق، بوضع كتاب في الأدوية المفردة تذكر فيه ماهياتها وقواها ومنافعها ومضارها، وإصلاح ضررها، والمقدار المستعمل من جرّمها أو عصارتها أو طبيخها، والبدل منها عند عدمها قابل عبد عتباتها، وسارع إلى الانتهاء إليها في الحال، ووضع هذا الكتاب مشتملاً على ما رُسم به وعُرف بسببه،

1- الشادين: من شدا شدوه أي نحا نحوه، فهو شادٍ. ينظر: أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، منشورات مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ/2005م، ص1169.

2- عزت: من عزّزْتُ عليه أعز: كُزِمْتُ، المصدر نفسه، ص465.

3- ابن البيطار: تفسير كتاب ديسقوريدس -في الأدوية المفردة-، تح: ابراهيم بن مراد، منشورات كلية الآداب بتونس، دار الغرب الاسلامي 1989م. ص ص1، 2.

وأودع فيه مع ذلك أغراضاً يتميز بها عما سواه، ويفضل على غيره بما اشتمل عليه وحواه¹.

يعتبر كتاب "الجامع" المؤلف الوحيد الذي طُبع لابن البيطار في طبعة يشوبها الكثير من الأخطاء اللغوية، وخاصة في كتابة أسماء الأدوية باللغة اليونانية واللاتينية والفارسية، وربما يرجع ذلك إلى خطأ النساخ أنفسهم في ذلك.

ويعتبر كتاب "الجامع" لابن البيطار موسوعة صيدلانية لم يترك فيها ابن البيطار دواء فيه منفعة إلا وذكره، واستشهد فيها بما يقرب من مائة وخمسين طبيباً وعشاباً ولغويّاً، ووصف فيه أدوية ما يزيد عن (1400) دواء، منها ما يزيد عن (300) دواءً لم يذكرها أحدٌ من قبل من العلماء العرب، وهذه هي الإضافة التي أضافها ابن البيطار لتاريخ الصيدلة العربية والعالمية، هذا بالإضافة إلى المواد التي عرفها ابن البيطار بنفسه وأزال وجه الالتباس فيها وصحح أخطاءها سواء في مسمياتها أو في أوصافها، والأماكن التي تنبت فيها، ووجه النفع أو الضرر فيها.

تجد في كتاب "الجامع" أيضاً بعضاً من مواد كتاب "الإبانة والأعلام بما في المنهاج من الخل والأوهام"، ولم يذكر جميع مواد الكتاب لأن كتاب "الجامع" ليس مخصصاً للنقد كما في كتاب "الإبانة" والذي نوه ابن البيطار في موضعين من كتابه "الجامع" فيقول عليه: "وقد نبهت على مثل هذا الغلط وأشباهه في كتابي الموسوم بالإبانة والإعلام بما في المنهاج من الغلط والأوهام بما فيه الكفاية"².

4- المُنْغِي فِي الْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ:

ألفه ابن البيطار أيضاً في المرحلة المشرقية وهي المرحلة الخصبة التي قضاها ابن البيطار متنقلاً بين دمشق والقاهرة في عهد السلطان نجم الدين أيوب ابن الملك

1- ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص2.

2- رزق عبد الرحمن: مفهوم الصيدلة ومصادرها عند ابن البيطار، ص170.

الكامل، وهذا يتضح من المقدمة التي وضّح فيها ابن البيطار الزمن الذي انتهى فيه من هذا الكتاب وهو بعد وفاة الملك الكامل بوقت قصير، فيقول ابن البيطار في مقدمة كتبه "المغني": "ولما كان شكر المنعم فرضاً على العبيد، وداعيةً إلى المزيد، وحقاً واجباً نطق به العزيز الحميد، وكان الملوك ممن إنعام الموتى المرحوم المقدس الأعظم المجهد المكرم الملك الكامل قدس الله روحه ونور ضريحه"¹.

أما عن أسبقية كتاب "المغني" في التأليف على كتاب "الجامع" أو العكس، فمن الواضح من ذكر الملك الكامل في مقدمة كتاب "المغني" توضح أنه قد شرع في تأليفه في عهد الملك الكامل وانتهى منه بعد موته بوقت قليل، أما في كتاب الجامع فلم يذكر فيه اسم الملك الكامل، لأنه قد ألفه يعد موته بسنوات عديدة، وربما يكون كتاب الجامع هو آخر كتاب ألفه ابن البيطار من جملة كتبه، وذلك لأنه أكملها وأخلدها وأتمها من حيث الإعداد والمنهجية والإتقان والموسوعية فهو نتاج حياة ابن البيطار الحافلة بالعلم والرحلات والتجربة والمشاهدة².

يتمثل الغرض الأساسي الذي من أجله ألف ابن البيطار كتابه هذا هو وضع مصنف يستغني به الطبيب عما سواه من الكتب الطبية الأخرى مع ما كان يشوبها من أدوية لم يجر عليها التجربة حتى تصح، ولأنه موسوعة في مصادره القديمة والحديثة، فيقول ابن البيطار في مقدمة كتابه هذا: "فإن العلم بالأدوية المفردة وقواها لا يستغني الطبيب عنه، ولابد لكل ناظر في علاج مرض أو استدامة صحة منه، والدواء جنس تحته ثلاثة أنواع حيوان ومعدن ونبات، لم يمنعها من الاشتراك في القوي الطبيعية كونها من الأشتات، وقد جمعت في هذا الكتاب من هذه الأنواع ما انتهى إلى علمه

1- رزق عبد الرحمان محمود: مفهوم الصيدلة ومصادرها عند ابن البيطار، ص 171-172.

2- المرجع نفسه، ص 72.

مما ذكره أهل الصناعة من المتقدمين، ومن تلا بهم واقتضي آثارهم من فضلاء المتأخرين¹.

قسم ابن البيطار كتابه "المغني في الأدوية المفردة" إلى عشرين باباً، كل باب متخصص في علاج عضو أو عدة أعضاء من جسم الإنسان.

5- الأفعال العجيبة والخواص الغريبة:

نسب ابن أبي أصيبعة هذا الكتاب إلى ابن البيطار، ولكن لم نعثر على أي كتاب أو مخطوطة أصلية أو مصورة تحمل هذا الاسم وتُنسب إلى ابن البيطار، ولعل هذا الكتاب من عنوانه يختص بأفعال الأدوية وخواصها، وهو موضوع الفصل العشرين من كتاب "المغني في الأدوية المفردة"، ونظراً لأهمية ذلك فقد أفرد له ابن البيطار كتاباً مستقلاً موسعاً لأفعال الأدوية وخواصها.

هذه هي مؤلفات ابن البيطار والتي صحت نسبُها إليه بشهادة معظم التراجمة وأصحاب السير الذين ترجموا له، ولكن ثمة بعض الكتب التي تُسبت إلى ابن البيطار وهي ليست من تصنيفه مثل:

أ- الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية²:

نسبها محققها سعيد صالح مصطفى زعيمه إلى مؤلفات ابن البيطار، ولكن ثمة مواد في "الدرة البهية" مأخوذة من كتاب "الجامع" و"المغني" لابن البيطار، ومواد أخرى لا علاقة لها بابن البيطار، لأنها تُناقض المنافع والصفات التي ذكرها ابن البيطار لها في كتابه "الجامع"، ولنأخذ أحد الأمثلة التي توضح ذلك فنجد أن محقق الكتاب سعيد صالح مصطفى يقول: "أكليل الملك زهر نبات تبني اللون هلالى الشكل، ومنه

1- رزق عبد الرحمان: مفهوم الصيدلة ومصادرها عند ابن البيطار، ص173.

2- تنشر تحت عناوين كثيرة في دور النشر ويختلف العنوان من دار نشر إلى أخرى منها العلاج بالأعشاب لابن البيطار، ومفردات ابن البيطار، وغيرها.

الأبيض، والأصفر أجوده، ويُسمى (ايسقيفون) وهو محال ومقو للأعضاء، ورقه شبيه بورق السفرجل¹.

نجد ابن البيطار في تعليقاته على مادة "إكليل الملك" يقول: "لا يُعرف هذا النوع الذي ذكره في عصرنا هذا بالإسكندرية البتة، وإنما المستعمل اليوم بالديار المصرية كافة وبالشام أيضا مكان إكليل الملك هو النوع الذي ثمرته تشبه قرون البقر، وهي المستعملة منه خاصة، وما أحسن ما نعته ابن سينا في قوله هو تبني اللون هلالى الشكل فيه مع تخلخله صلابة ديسقوريدس في الثالثة "ماليلوطس" هو إكليل الملك².

من المثاليين السابقين تتضح كذب الادعاء بأن هذا الكتاب يُنسب إلى ابن البيطار، فالمحقق سعيد صالح مصطفى يقول أن: "إكليل الملك" هو زهر نبات، في حين أن ابن البيطار قال عنه أنه لا يُعرف بالديار المصرية وأن المستعمل بدله، بالإضافة إلى أن المحقق قال عنه أنه "ايسقيفون" في حين أن "ديسقوريدس" قال أن: "ماليلوطس هو اكليل الملك".

فالمصطلح اليوناني ليس صحيحاً بالمرة، وغيرها من الأمثلة الكثير التي توضح أن هذه المخطوطة لا تمت بصلة إلى ابن البيطار، ولعل في نسبة مُحققها لابن البيطار أن يُشهر المخطوطة لشهرة ابن البيطار، الكتاب إذاً ليس لابن البيطار، ولكن مع ذلك يصر المحقق أن هذا الكتاب هو من تأليف ابن البيطار، ولم يعط دليلاً واحداً على صدق نسبته لابن البيطار. فيقول المحقق أيضا في مقدمة الطبعة الثانية: "فإلى السادة العلماء والحكماء والأطباء والمطلعين الكرام الأعزاء، أقدم الطبعة الثانية من كتاب "الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية" مختصر جامع المفردات لرئيس العشابين في عهدي الملك الكامل والملك الصالح ضياء الدين محمد بن أحمد الشهير

1- سعيد صالح مصطفى: الدرّة البهية في منافع الأبدان الإنسانية، دار ابن خلدون، القاهرة، د.ت، ص170.

2- ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص50.

بابن البيطار المالقي ومن كل ما سبق يتضح أن الكتاب المنسوب لابن البيطار هو عبارة عن مُختصر لكتابه " الجامع " لمؤلف مجهول، فكان نسبُها لابن البيطار نوع من الشهرة للكتاب.

أ- كتاب الأقرباذين:

نسبهُ إليه بعض المفكرين المحدثين ومثالاً لذلك الدكتور علي عبد الله الدفاع في كتابه "إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة" فقال عنه: "كتاب: الأقرباذين" يحتوي على مجموعة من الأدوية ويشمل على وصف جميع النباتات والأحجار والمعادن والحيوانات التي بها خواص طبية، وقد ثبت أن ابن البيطار ألف كتاب الأقرباذين عندما كان مقيماً في مصر¹.

ثم يذكر المؤلف مستشهداً في ذلك بقول الأب جورج شحاتة قنوتي في كتابه "تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط" أن ابن البيطار قد أوضح في مقدمة كتابه الأقرباذين الأغراض الآتية²، وذكر الأغراض الستة التي ذكرناها في المنهج العلمي لابن البيطار - وهذا يدل دلالة قاطعة على أن كتاب "الأقرباذين" هو نفسه كتاب "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" مع أن الدكتور علي عبد الله الدفاع قد ذكر كتاب الأقرباذين ككتاب منفصل في ترتيب ثالث بعد ذكره لكتابي ابن البيطار "الجامع" و"المغني"، ولا نعرف بالضبط ما هو دليله في نسبة ذلك الكتاب إلى ابن البيطار.

1- علي عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت،

1407هـ/1987م، ص406.

2- المرجع نفسه، ص406.

المطلب الثاني: الملاحظات التي أضافها ابن البيطار إلى مجال الطب

والصيدلة العربية

هذه الملاحظات أغلبها تصحيحية للأخطاء التي وقع فيها العلماء العرب من أخطاء في مسميات الأدوية أو إعطاء صفات دواء لدواء آخر مخالف له في الصفات، أو أخطاء في المنافع بإعطاء دواء ما منافع دواء آخر محالف له في المنافع، بالإضافة إلى بعض الملاحظات التي علق بها ابن البيطار على مواد أحالها إلى مواد أخرى بمعنى (انظر إلي)، وهي مواد الإحالة في علم الفهرسة، وذلك لتنوع مداخل المواد التي أوردها ابن البيطار في كتابه "الجامع" فبعض الأدوية أوردها بمسمياتها اليونانية، والأخرى بالبربرية والفارسية والملاطينية.

وهذه الأدوية لها معنى باللغة العربية، فإذا تناول دواء ما في لغة يكون قد تناوله بمدخل للغة أخرى يذكر ذلك، فمثلاً يقول ابن البيطار في مادة "طيب العرب": هو الأذخر، ونجد أيضاً في مادة (طيطان): هو كراث البر ومناوبته الرمل عند أبي حنيفة وسنذكر الكراث بجميع أنواعه في الكاف¹.

بلغ عدد تلك المواد (104) مادة أولها مادة "ألوسن"² هو نبات له ورق مستدير وله في أصول الورق ثمر في شكل الترس ذو طبقتين فيه بذر صغير إلى العرض ما هو ذو ساق واحدة وينبت في مواضع جبلية وأماكن وعرة وإذا شرب طبيخه سكن البرد إذا كان بلا حمي، وإذا أمسك باليد أو نظر إليه فعل ذلك أيضاً، وإذا سحق وخلط بالعسل ولطخ على البثور اللبنية والكلف نقاه، ينفع من نهشة الكلب نفعاً عجباً، وقد يُسقي منه أيضاً مراراً كثيرة من قد تمكن منه الكلب واستحكم فيه إذا شربه وحده "لي" زعم بعض الأندلسيين أن هذا الدواء وهو المسمى باليونانية ألوسن هو الدواء

1- ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص106.

2- المصدر نفسه، ج1، ص4

المعروف عندهم بالقارة وذلك لمنفعته من عضة الكلب أيضا وليس كما زُعم بل هو الدواء الذي ترجمت عنه فاعلمه، والقارة هو الدواء المسمى باليونانية سطاخنوس¹، وآخرها مادة "ينبوت"¹: هو خرنوب المعزي عند أهل الشام، أبو حنيفة وهو ضربان أحدهما هذا الشوك الصغار المسمى الخرنوب النبطي له ثمرة كأنها تقاحة فيها حب أحمر وهو عقول للبطن يتداوى به، والآخر شجرة عظيمة كالتفاح ورقها أصغر من ورقه ولها ثمرة أصغر من الزعرور شديدة السواد يتداوى بها وهي شديدة الحلاوة، وهو بارد يابس يمنع الخلفة إذا شرب ماؤه قشر أصله يُفتت الأسنان العتيقة ويُسكن وجعها ويقلعها بلا حديد (لي) قد كثر اختلافهم فيه فمنهم من زعم أنه شوك القتاد وليس بصحيح لأن ذاك شجرة الكثراء.

"الرازي في الحاوي"؛ هو شجرة الحاج ولم يُصب في ذلك لأن تلك هي العاقول وقد ذكرته في العين، وقال في الكافي هو العوسج، وقال في موضع آخر قيل هو الفوتيرا وهي الطباق بالعربية وقد ذكرته في الطاء، وكذلك قال "ديسقوريدس" و"جالينوس" هو الفوتيرا والأصح قول "أبي حنيفة".

المطلب الثالث: الأدوية المعدنية والحيوانية

لم يكن ابن البيطار صيدليا نباتياً فقط، ولكنه أيضا اهتم بالأدوية الحيوانية والمعدنية، وإن كانت بدرجة أقل من الأدوية التي من أصل نباتي، فالأدوية والأغذية تشمل العناصر الثلاثة من نبات وحيوان ومعادن، وكان ابن البيطار أكثر من أساتذته الثلاثة ابن حجاج الاشبيلي، وأبو العباس بن الرومية، وعبد الله بن صالح في ذكره للأدوية الغير نباتية، فمعظم ما اعتمده لهم من أدوية هي أدوية نباتية إلا ثلاث مواد

1- المصدر نفسه، ج4، ص210.

فقط اعتمدها لأبي العباس بن الرومية وهي أدوية معدنية: "حجر السلوان، حجر البسر، حجر بارقي"¹.

فابن البيطار لم يترك مادة دوائية ينتفع بها الإنسان، كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه "الجامع" في الغرض الأول "ذكر ما ينتفع به الناس من شعار ودثار"²، وكما ذكر في مقدمة كتابه "المغني في الأدوية المفردة": "فإن العلم بالأدوية المفردة وقواها لا يستغني الطبيب عنه، ولا بد لكل ناظر في علاج مرض أو استدامة صحة منه"³. ومن أجل تلك المنفعة أفرد ابن البيطار أعداداً ليست بالقليلة من الأدوية الحيوانية والمعدنية في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية".

أولاً: الأدوية الحيوانية:

بلغت تلك الأدوية الحيوانية سواء أكانت حيوان أو أجزاء من الحيوان أو نتاج من الحيوان (178) مادة، أولها مادة ابن عرس: وآخرها مادة "يمام": هو طائر معروف وهو الشفنين البري وهي فاضلة الغذاء مائلة إلى الحر وهي أنفع وأصلح للمشايخ والناقهين بعد فراخ الحمام ولها قوة عجيبة في صرف الدم على القليلي الدماء، أجودها الصغار وهي مادة يابسة ويبسها قوي تنفع من الفالج (الشلل) وتحدث سهرًا ويصلحها الخل والكزبرة، ولا ينبغي أن يؤكل منها ما جاوز السنة فإنه شديد الضرر وينبغي أن تُترك بعد ذبحها يوماً، ولحم اليمام أيضاً يزيد في الحفظ ويذكرى الذهن ويقوي الحواس"⁴.

1- المصدر نفسه، ج2، ص ص 8-12.

2- المصدر نفسه، ج1، ص2.

3- المصدر نفسه، ج1، ص1.

4- المصدر نفسه، ج1-4، ص ص 9-209.

ثانياً: الأدوية المعدنية:

تنوعت الأدوية المعدنية بين مركبات كيميائية وأحجار كريمة وأحجار غير كريمة ومعادن في صورتها المفردة أو المركبة وبلغت تلك المواد في (155) مادة أولها مادة "أبار": هو الرصاص الأسود، إن ذلك الرصاص بدهن حتى يصدأ ثم أخذ ذلك الدهن وطُلي به حديد لم يصدأ، ومن لبس منه خاتماً نقص بدنه، وإن طُرح في القدر قطعة رصاص لم ينضج اللحم ولو أوقد عليه مدة، وأخرها مادة "يشف": زعم قوم أنه جنس من الزبرجد لونه شبيه بالدخان، وزعم آخرون أنه ياقوت حبشي ملون ويسمونه بالمشرق أبو قلمون، وهو ينفع المريء وفم المعدة إذا غُلق على الرقبة أو العضد فيكون فيه بالغاً¹.

يتضح مما سبق أن إسهامات ابن البيطار في مجال الصيدلة والطب التي تنوعت بين إضافات إلى رصيد الصيدلة العربية، وبين إضافات إلى رصيد الصيدلة العالمية، وبين الإضافات التي أضافها بملاحظاته على الأدوية العربية واليونانية التي ذكرها القدماء والمحدثون، فنجد أن ابن البيطار قد أضاف إلى رصيد الصيدلة العربية والإسلامية (332) مادة دوائية، أما ما أضافه غلي رصيد الصيدلة العالمية (75) دواء جديداً، وما أضافه من ملاحظات على (104) مادة، وهي ملاحظات كما أوضحنا من قبل لتصحيح أخطاء سابقه سواء أكانت في المسميات أو الصفات أو المنافع.

وهذه الأخطاء هي ما تناولناه من قبل في المنهج النقدي عند ابن البيطار، وعند استعراضنا للكتاب الذي صنّفه ابن البيطار في نقد "ابن جزلة"، وما رصدناه من أدوية حيوانية ومعندية وذلك لنؤكد أن ابن البيطار لم يكن عشاباً أو نباتياً فقط، وذلك رداً على ما أطلقه عليه العلماء بأنه كان عالماً نباتياً، فكان لابد أن نرصد الأدوية التي

1- المصدر نفسه، ج1-4، ص 9-209.

ذكرها ابن البيطار في " جامعہ " من أدوية معدنية وحيوانية ومنها أدوية جديدة من إسهاماته في مجال الصيدلة العربية.

المبحث الثاني: مكانة ابن البيطار في علم الطب والصيدلة

يتضح لنا مما رصدناه من إسهامات ابن البيطار في الصيدلة والطب مدى المكانة العلمية التي كان يتمتع بها، والتي خلّدت اسمه على مر تلك العصور إلى عصرنا هذا، فابن البيطار لم يكن عشاباً فقط، بل كان طبيباً جرب صيدلته على مرضاه، كان ابن البيطار بفضل مجهوده العلمي رئيساً للعشابين.

لم يكن هذا منصباً شرفياً أو سياسياً، ولو كان كذلك لما وصل ذكره إلى يومنا هذا، ولكنه كان منصباً علمياً لتفوقه على علماء عصره في مجاله، سنبين فيما يلي المكانة التي حظي بها ابن البيطار قديماً، وذلك بذكر المكانة التي حظي بها بالنسبة لأساتذته ثم بالنسبة إلى معاصريه من ذوي الاهتمام العلمي نفسه، ثم بالنسبة لتلامذته ومن أخذوا عنه سواء بالتعلم المباشر أو الدراسة لكتبه، ثم سنتناول أقوال التراجمة وأصحاب السير عن مكانة ابن البيطار قديماً وحديثاً، ثم سنتناول بعد ذلك مكانته بالنسبة للصيدلة الحديثة ومدى وقوفه على تقسيماتها الصيدلية من رصيده الصيدلي.

المطلب الأول: مكانة ابن البيطار بالنسبة لأساتذته وتلامذته

أولاً: مكانة ابن البيطار بالنسبة لأساتذته:

اكتشف والد ابن البيطار في ابنه ميلاً إلى الطب والصيدلة لذلك أرسله من "مالقة" موطن رأسه إلى "إشبيلية"، والتي فيها تتلمذ على يد ثلاثة من أساتذته، ذكر أسمائهم ابن البيطار في كتابه "الجامع" في مادة "سطرونيون" فقد قال ابن البيطار: سطرونيون: فسرّه حنين في الثامنة من مفردات جالينوس بالكندس وهو بعيد عن الصواب وكذا كل من قال بقوله أيضاً في هذا الدواء، لأن الكندس مشهور ولا يستعمل فيه في الشراب المقدار المستعمل من سطرونيون ولا يغسل به الصوف أيضاً كما يغسل بسطرونيون الذي هو عند مشايخنا الثقات في هذه الصناعة من أهل الأندلس

منهم أبو العباس النباتي، وعبد الله بن صالح الكتاني، وابن حجاج الأشبيلي هو النبات المعروف اليوم وقبله ببلاد الأندلس بالقوليله¹.

لم تذكر معظم كتب التراجم كيف كانت علاقة ابن البيطار بأساتذته، وكيف تلقى العلم عنهم، أكان عن طريق التدريس المباشر على يد أساتذته؟ أم عن طريق كتبهم؟ ولكن الرأي الأول أقرب إلى الصواب والمنطق وطبيعة الحياة في الأندلس، وإلا فلما الانتقال من مسقط رأسه إلى أشبيلية موطن أساتذته والذين كانوا معاصرين له في الحياة، وحيث أن الكتب بمفردها بدون المعلم الذي يُبسّط مفاهيم المادة العلمية لا تصنع عالماً.

ولكن أستاذه الذي تحدث عنه كثيراً، وأخذ من صيدلته أكثر من أستاذه الآخرين؛ هو أبو العباس النباتي ابن الرومية فقد قال عنه في مادة "ذاقني الإسكندراني": قال شيخنا ومعلمنا "أبو العباس النباتي"²، ولعله في ذلك يدين له بالفضل الكثير أكثر من شيخيه الآخرين، فنجد في نفس المادة السابقة "ذاقني الإسكندراني" ونفس الصفحة يذكر شيخه "عبد الله بن صالح" بدون ألقاب وهو "عبد الله بن صالح: الفرق بين "ذاقني الإسكندراني" وبين خاماذاقني" أن الأول اعرض ورقاً وورقه مع طول القضبان، وخاماً ذاقني" أضيق ورقاً، وقضبانه عارية من الورق وسائر أوصافها واحدة ويُسميان بالأندلس بينب"³.

ونجد أيضاً ابن البيطار في كتابه "تفسير أدوية ديسقوريدس" في مادة "صنخيس":
"قال الشيخ الفاضل أبو العباس الأشبيلي- رضي الله عنه- هو الإسفناخ، ولم يصح

1- المصدر نفسه، ج3، ص13.

2- المصدر نفسه، ج2، ص122.

3- المصدر نفسه، ج2، ص122.

قوله¹، وكما كان لأساتذة ابن البيطار من فضل كبير في تعليمه، كان لابن البيطار أيضاً فضل آخر على أساتذته في تخليد ذكراهم، وخاصة أستاذه " أبو العباس بن الرومية الاشبيلي" في تخليد أهم كتبه وهو كتاب "الرحلة المشرقية"، والذي ألفه عندما كان يزور المشرق العربي، وهذا الكتاب مفقود، والمرجع الوحيد الذي ذكره هو كتاب "الجامع" لابن البيطار، فقد ذكر فيه معظم مواد كتاب "الرحلة"، وذكره منفصلاً عن المصادر الأخرى التي رصدها لصيدلة " أبي العباس النباتي" والذي ارتبط به علمياً ووجدانياً أكثر من أستاذه الآخرين لدرجة أنه لحق به بعد سفره إلى المشرق، فكان مثله الأعلى في التعشيب والبحث العلمي، والوقوف على أماكن تواجد الأدوية، والتحقق من أسمائها في بيئاتها الطبيعية وحُب الرحلات العلمية لاكتشاف أدوية جديدة.

وتعتبر علاقة ابن البيطار بأستاذه هي المرحلة الأولى من حياته، وانتهت برحيل أستاذه ابن الرومية تجاه المغرب عام 1217م ثم تبعه تلميذه سائراً على نهج أستاذه لمتابعة رحلاته العلمية بحرية وأمان بعيداً عن الجو السياسي المضطرب في الأندلس² مهاجراً إلى بعض دول أوروبا وشمال أفريقيا وآسيا الصغرى ثم استقراره متقلاً بين القاهرة ودمشق.

ثانياً: مكانة ابن البيطار بالنسبة لمعاصريه:

ينقسم الأطباء والصيادلة في زمن ابن البيطار إلى معاصرين ورد ذكرهم في كتاب "الجامع"، وإلى معاصرين لم يذكر أسمائهم ولكن أشار إليهم في العديد من المواد في كتابه "الجامع" بقوله: قال بعض أطبائنا، أو قال بعض علمائنا، وربما يرجع ذلك إلى اتفاقهم جميعاً في قول واحد الأمر الذي جعل ابن البيطار يُغَلِّب عليهم صيغة الجمع أولي من أفرادهم بمسمياتهم كل طبيب أو صيدلي على حده، ولو كان لكل واحد

1- ابن البيطار: تفسير كتاب ديسقوريدس -في الأدوية المفردة-، تح: ابراهيم بن مراد، منشورات كلية الآداب بتونس، دار الغرب الاسلامي 1989م، ص31.

2- كمال السامرائي وآخرون: ابن البيطار وأثره في الطب والصيدلة، ص88.

من العلماء رأي مختلف عن غيره لذكره باسمه، وذلك لسبقه وتفرده بالأمانة العلمية، والتي بها لم يُغفل لصاحب إضافة أو تفرد قوله وإسهامه، ومثال على ذلك في مادة "بابونج": "قال بعض علمائنا وبدله في تقوية الدماغ والمنفعة من الصداع برنجاسف"¹. وقال في مادة "بادزهر" في أول المادة: "بعض أطبائنا البادزهر يُقال على معنيين، ويقال على كل شيء ينفع من شيء آخر، ويُقاوم قوته ويدفع ضرره لخاصية فيه، ويُقال على حجر معلوم ذي عين قائمة ينفع بجملة جوهره من السموم الحارة والباردة إذا شُرب وإذا غُلِق"².

ثالثاً: مكانة ابن البيطار بالنسبة لتلامذته:

كان لابن البيطار الأثر البالغ في تلامذته ومن أخذوا عنه سواء بالتعلم المباشر أو عن طريق دراسة كُتبه، فابن البيطار بما وصلت إليه مساهماته في مجال الصيدلة ظل علماً من أبرز أعلامها وغايةً فيمن يبحث عن ذروتها، كما وصفه جميع التراجمة الذين تحدثوا عن شخصيته ومؤلفاته ومنهجه العلمي. لم يحظ أحد من تلامذته أو من أخذوا عنه من بعده في عصور تالية، منزلة تقارب منزلته أو تساويها، ولنأخذ أولاً بعض تلامذته والذين تعلموا على يد ابن البيطار عن طريق التعلم المباشر:

1- إبراهيم بن موسى السويدي (600-690هـ/1204-1291م):

وضع كتابين لم يُطبعوا وأثر ابن البيطار واضحٌ فيهما، أحدهما مخطوط باسم كتاب "السمات في أسماء النبات" في باريس تحت رقم (3004) طب، ويُقال إن ابن السويدي اعتمد في كتابيه على كتاب "المغني في الأدوية المفردة لابن البيطار"³.

1- ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص74.

2- المصدر السابق، ج1، ص81.

3- أبو الفتوح التونسي: ابن البيطار الأندلسي أعظم صيدلي في الإسلام، ص102.

2- ابن أبي أصيبعة (596 - 668هـ/1200-1270م):

" هو احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة الطبيب المؤرخ صاحب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" في مجلدين. كان مقامه في دمشق، وفيها صنف كتابه سنة 643هـ ومولده بها، زار مصر سنة 643هـ وأقام بها طبيباً مدة سنة ومن كتبه أيضاً "التجارب والفوائد"، و"حكايات الأطباء في علاجات الأدوية" و"معالم الأمم" وله شعر كثير تُوفي بصرخد -من بلاد حوران بسوريا-"¹.

وجاء ذكره في دائرة المعارف الإسلامية على النحو التالي: هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي، ولد بدمشق سنة (600هـ/ 1203م) ودرس الطب بها فترة من الزمان، ثم رحل إلى القاهرة لكي يُواصل دراسته بها بالمستشفى الناصري، درس على عالم النبات العظيم ابن البيطار، وعينه صلاح الدين طبيباً بمستشفى كان قد أنشئ حديثاً بالقاهرة فعمل به طبيباً لمدة عام واحد، ثم التحق بوظيفة طبيب خاص للأمير عز الدين أيدير في مصر خد"².

3- يوسف بن إسماعيل الخوي الشافعي "المعروف بابن الكتبي" (ت 754هـ/1353م):

يقول عنه حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون": "ألف كتاب اسماء ما لا يسع الطبيب جهله" أختصر فيه مفردات ابن البيطار المسمى بالجامع وشرح منفعة الدواء عندما اشتهر بما اشتهر من أسمائه وزاد أسامي أدوية لم يذكرها فهو كالمختصر من جهة، وكالشرح من جهة أخرى، وكتاب مفرد من جهة، وجعله كتابين أحدهما يشتمل على مفردات الأدوية والأغذية، والآخر في المركب، وقدم على كل كتاب مقدمه تتعلق

1- فاطمة محجوب: الموسوعة الإسلامية، ط1، مكتبة مد بولي، القاهرة، 1411هـ/1990م، ج1، ص110.

2- المرجع نفسه، ج1، ص110.

بقوانين وأحكام يجب معرفتها قبل الخوض فيها وفرغ من جمعه في جمادى الأخرى سنة 711هـ، وترجمه بالتركيب كاتب من كتاب الديوان اسمه حسن بن عبد الرحمن في عصر السلطان مراد خان الثالث¹.

مما سبق يتضح مدى تأثير ابن البيطار في تلامذته ومن أخذوا عنه مؤلفاته وخاصة كتابيه " الجامع لمفردات الأدوية والأغذية " و " المغني في الأدوية المفردة "، فلم يرتق واحد منهم إلى نفس القدر والمنزلة والمكانة العلمية التي حظي بها ابن البيطار.

المطلب الثاني: أقوال التراجمة عن مكانة ابن البيطار

أجمع معظم التراجمة وأصحاب السير على المكانة العظيمة التي تبوأها ابن البيطار في قمة هرم الصيدلة العربية ومن هؤلاء التراجمة:

1- ابن أبي أصيبعة:

قال عن ابن البيطار في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء": "وأثنى دراية كتاب "ديسقوريدس" إتقاناً بلغ فيه إلى أن لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه وذلك أنني وجدت عنده من الذكاء والفتنة والدراسة في النبات، وفي نقل ما ذكره "ديسقوريدس" و"جالينوس" فيه ما يُتَعَجَّب منه، ورأيت أيضاً من حُسْن عشرته وكمال مروءته وطيب أعراقه، وجودت أخلاقه، ودرأيته وكرم نفسه، ما يفوق الوصف ويُتَعَجَّب منه، ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه، وقرأت عليه أيضاً تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس فكنت أجد من غزارة علمه، ودرأيته وفهمه شيئاً كثيراً جداً، وكنت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة مثل كتاب "ديسقوريدس" و"جالينوس" والغافقي وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن.

فكان يذكر أولاً ما قاله "ديسقوريدس" في كتابه باللفظ اليوناني على ما صححه في بلاد الروم، ثم يذكر جُمْل ما قاله "جالينوس" فيه من لغته ومزاجه وأفعاله، وما

1- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، ص1575.

يُتعلق بذلك، ويذكر أيضا جُملاً من أقوال المتأخرين، وما اختلفوا فيه ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته، فكنت أراجع تلك الكتب معه، ولا أجده يُغادر شيئاً مما فيها، وأعجب من ذلك أيضاً أنه كان ما يذكر دواءً إلا ويُعين في أي مقالة هو من كتاب "ديسقوريدس" و"جالينوس"، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة¹.

هذه هي شهادة تلميذ ابن البيطار الذي عاصره فيما يقرب من ثلاث عشرة سنة إلى أن تُوفي ابن البيطار، ويُعتبر ابن أبي أصيبعة من أكثر التراجمة الذين تحدثوا عن ابن البيطار، وإن كان يستحق أكثر من ذلك الإيجاز الذي أفرده له ابن أبي أصيبعة، فهو لم يتحدث عن مواقف حياتية أو إنسانية لابن البيطار، كما أفرده ذلك لكثير من العلماء الذين شملهم كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، ولا نجد نحن تفسيراً لذلك الإيجاز مع ما عاصره من مواقف حياتية وعلمية كثيرة مع أستاذه ابن البيطار.

2- عبد الحي بن أحمد الدمشقي الصالحي "ابن العماد" (1032-

1089هـ / 1622-1678م):

قال عن ابن البيطار في كتابه "شذرات الذهب في أخبار من ذهب": "سنة ست وأربعين وستمائة وفيها (تُوفي) ابن البيطار الطيب البارع ضياء الدين عبد الله ابن أحمد المالقي العشَّاب صاحب كتاب المفردات في الأدوية، وانتهت إليه معرفة النبات وصفاته ومنافعه وأماكنه وله اتصال بخدمة الكامل ثم ابنه الصالح وكان رئيساً في الديار المصرية تُوفي بدمشق في شعبان"².

1- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 601.

2- ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 3، ص 234.

3- جورج شحاتة قنواي (1332-1414هـ/1905-1994م):

قال عن ابن البيطار في كتابه "تاريخ الصيدلة والعقاقير": "كان القرن الثالث عشر الميلادي للأندلس ملحوظاً لأفول نجمه السياسي وتوقف حركته العلمية، إلا أنه شهد ظهور أكبر موسوعة خاصة بالأدوية المفردة وصلتنا من القرون الوسطى، وهو الكتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار"¹.

4- المستشرق: إدوارد جي براون (1278-1344هـ/1862-1926م):

قال عن ابن البيطار في كتابه "الطب العربي": في المحاضرة الرابعة منه: "وهناك اسم آخر لمع في القرن الثالث عشر، وهو العالم النباتي ابن البيطار من مالقة، ويُعتبر هذا العالم أشهر من جاء بعد "ديسقوريدس" وكان قد تجول في اليونان وآسيا الصغرى ومصر باحثاً عن الأعشاب الطبية ومؤلفاته عن مفردات العقاقير الطبية عُرفت في أوروبا عن طريق "سونتايمر" و"ليكلرك"، وقد لعبت إسبانيا وشمال غرب إفريقيا دوراً مهماً في نشر الطب العربي في أوروبا، ولا سيما مدينة طليطلة حيث عاش "جيرارد الكريموني" و"ميشيل سكوت" ودرسوا ونقلوا العلوم العربية إلى أوروبا المسيحية"².

المطلب الثالث: مكانة ابن البيطار بالنسبة للصيدلة الحديثة

إن الصيدلة الحديثة ما هي إلا حلقة من حلقات الصيدلة والطب على مر العصور، والصيدلة الحديثة بما وصلت إليه من تقنيات معقدة لتصنيع الأدوية واللقاحات والأمصال، لم تكن بدعاً، ولكن كان قبلها إسهامات الصيدلة العربية، والتي حَقَّقَتْ ونَقَّحت الصيدلة اليونانية وأضافت إليها الكثير من الأدوية التي توجد في

1- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص256.

2- إدوارد جي براون: الطب العربي (محاضرات في ذكرى فيترىك أُلقيت في كلية الأطباء الملكية في لندن عام 1919 و1920 نُقل الكتاب إلى العربية وعلق عليه الدكتور داود سلمان على أستاذ متمرس بجامعة بغداد)، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، "أفاق عربية"، بغداد 1986م، ص95.

البيئات العربية، والدليل على ذلك أن ابن البيطار اعتمد للعلماء العرب في كتابه الجامع (525) مادة جديدة لم يذكرها الأطباء والصيدالة اليونان، "فقد لعب الأطباء العرب والمسلمين دوراً كبيراً وبارزاً في تطور العلوم الطبية من خلال أبحاثهم ودراساتهم وترجماتهم التي مهدت السبيل وأنارت الطريق لاكتشافات عظيمة في علم العقاقير والتقدم الطبي"¹.

فالحضارة العربية لم تكن فقط حاضنة وحافظة فقط للتراث اليوناني كما يدعي بعض المنكرين لإسهامات العرب في مجال الصيدلة، فالعرب هم " أول من وضعوا علم الصيدلة وفصلوها عن علم الطب، لأن الصيدلة والطب كانتا مهنة واحدة، وقد حاول علماء العرب والمسلمين أن يحصلوا على متخصصين في مجال الصيدلة، فأنشئوا المدارس التي تعلم الدارسين طريقة تحضير الأقرباذين وطريقة تسويقها، كما أنهم أول من عمل صيدلية عامة وصيدلية خاصة ملحقة بالمستشفى"².

ليس هذا فقط ولكن كان للعرب الابتكار في الناحية التجريبية لصناعة الدواء، والمستحضرات الطبية مثل المعاجين المختلفة والمراهم والدهانات والكحل والسعوط والحقنة المليئة والضماد والأشربة واللزقات والماء المقطر، وغير ذلك من المستحضرات، كما أن الأطباء العرب هم أول من وصف القهوة كدواء للقلب، كما كانوا أول من وصفها بشكلها المطحون الناعم كعلاج لالتهاب اللوزتين والجروح الملتهبة"³.

ولكن لم يستمر تقدم المسلمين في مجال الصيدلة، ولكن انشغلوا بالدفاع عن عقيدتهم وعن بلادهم الجديدة من الفتوحات الإسلامية ضد هجمات الصليبيين والنتار

1- عبد الرضا علوان المياح: النباتات الطبية والتداوي بالأعشاب، ط1، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء 2001م، ص14.

2- علي عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ص128.

3- المرجع نفسه، ص ص134، 135.

الخارجية والفتن والملاحم الداخلية، فكيف يكون هذا المناخ قادراً على خلق عالم أو مُفكر مُبتكر، فحصلت ارتداده علمية إلى الوراء، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من التراث الموروث الديني والعلمي بعد أن تم إحراق وإتلاف معظم هذا التراث بأيدي المستعمرين؛ وهذا هو دأب كل مستعمر قديماً كان أو حديثاً، مروراً بتفتيت أوامر الأمة العربية والإسلامية إلى دويلات صغيرة عرفت الحدود والجنسيات والعصبية.

وبعد أقول حضارة العرب انتقلت العلوم الطبية إلى الغرب عن طريق الترجمات لكل المعارف العلمية العربية، ونظراً لتطبيقهم المنهج التجريبي على كل العلوم، تطوّر الغرب كثيراً، وبتقدم العلوم والمعرفة اتجه الصيدلي أو العطار إلى طرق أفضل لتداول النباتات فبدأ يُحضرها على شكل مسحوق "powder"، وفي القرن الثامن عشر ظهرت العقاقير على شكل خُلاصات "Extracts" وبتقدم الأجهزة تم فصل المكونات والمركبات الفعالة ذات التأثير البيولوجي والعلاجي من النباتات الطبية بصورة نقية ومتبلورة، وأصبحت تُصنع من قبل شركات الأدوية على شكل أقراص وحقن ودهان وغيرها¹. وليس هذا فقط ولكن في معظم دول أوروبا وأمريكا الشمالية أنشئت المراكز المتخصصة القائمة على البحث العلمي في مجال صناعة الأدوية الجديدة.

هذه المراكز المتخصصة والتي لا تخلو كلية علمية منها بغية اكتشاف علاجات جديدة للأوبئة والأمراض المستعصية البُرة، ومن جملة هذه "الاكتشافات المهمة في مجال النباتات الطبية والعقاقير والذي كان له الأثر الكبير في إنقاذ حياة الملايين من أمراض الملاريا هو اكتشاف قلف نبات الكينا أو الفنقينه "cinchona" و"السكونين" "Cinchonine" الفعالة ضد مرض الملاريا، وكذلك اكتشاف أوراق نبات الدجيتا ليس "Digitalis" التي تحتوي على مادة الدجيتوكسين "Digitoxin" (جليكوسيد) الفعالة في

1- عبد الرضا علوان المياح: النباتات الطبية والتداوي بالأعشاب، ص16.

علاج ضربات القلب، وكذلك جذور نبات الروالفا " Rawolfia " التي تُستعمل في علاج ضغط الدم¹.

رتبت الصيدلة الحديثة النباتات، وذلك لغرض تسهيل التعرف على الأجزاء الطبية الموجودة في النبات ودراستها، ومعرفة مركباتها الكيماوية وجواهرها الفعالة، وأهميتها الفسيولوجية والعلاجية والصفات المظهرية لها ولأجزائها المستعملة، وليسهل أيضاً بموجب هذا الترتيب " التعرف على العقار أو النبات الطبي ومن هذه الطرق ما يأتي:

أولاً: الترتيب (التقسيم) الهجائي: " Alphabetical Classification "

ويعني ترتيب النباتات أو العقار ترتيباً هجائياً حسب الحرف الأول من الاسم العلمي للنبات أي ترتيباً قاموسياً أو موسوعياً كالموسوعات العلمية وديسانير الأدوية². نجد هذا التقسيم والترتيب واضح وجلي في كتاب "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" لابن البيطار فقد ذكر في مقدمة كتابه هذا في الغرض الرابع من أغراضه الستة لتأليف هذا الكتاب "تقريب ما أخذ بحسب ترتيبه على حروف المعجم مقفي ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عناء ولا تعب"³.

ثانياً: الترتيب التصنيفي (أو العلمي): " Taxonomical classification "

ويعني ترتيب النباتات وفقاً لقواعد التسمية الدولية للنباتات أي حسب عائلة النبات وموقعة في السلم التصنيفي العلمي للمملكة النباتية كالعائلة والشعبة والجنس والصنف

1- المرجع نفسه، ص16.

2- المرجع نفسه، ص29.

3- ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص3.

وغيرها من التصنيفات، بمعنى أن النباتات الطبية هنا تُرتب حسب ورودها في الموسوعات النباتية " Floras " وفقاً لنظم تصنيفية معينة¹.

نجد أيضاً هذا التقسيم واضح وجلي عند ابن البيطار في التسمية الدولية لمفردات الأدوية والأغذية فنجد ابن البيطار يورد أسمائها باليونانية واللاتينية ؛ وهي اللغة التي يُكتب بها اسم النبات العلمي في التسمية الحديثة للنباتات، فقد قال ابن البيطار في مقدمة كتابه " الجامع " في الغرض السادس: " في أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات مع أنني لم أذكر فيه ترجمة دواء إلا وفيه منفعة مذكورة أو تجربة مشهورة، وذكرت كثيراً منها بما يعرف به في الأماكن التي تنبت فيها الأدوية المسطورة كالألفاظ البربرية واللاتينية وهي أعجمية الأندلس²."

ثالثاً: الترتيب المظهري: (Morphological classification)

وهو ترتيب حسب الأعضاء النباتية أو الجزء الذي يتركز فيه الجوهر الفعال أي حسب الجزء النباتي المستخدم كعقار وعلى هذا الأساس ترتيب العقاقير كما يأتي:

1- " عقار عشب كاملة": وفيه تُوجد المادة الفعالة في جميع أجزاء النبات (في النبات كله) مثل الداتورة والحرمل والخلة والريحان وغيرها³.

نجد هذا الترتيب المظهري تحقق عن ابن البيطار في مضمونه وليس في ترتيبه بمعنى أن كل ما تضمنه هذا الترتيب الحديث من التركيز على الجوهر الفعال في كل أو جزء من النبات قد تحقق في كتاب الجامع لابن البيطار فمثلاً: عقار العشب الكاملة عند ابن البيطار إذا كان المادة الفعالة في النبات كله يذكر الورق والأصل (الجذر)، والثمار والبذور، في ترجمته للنبات عن الصيادلة اليونان والعرب مثل مادة: زيتون"، فقد تحدث عن الزيتون من ورق وسيقان وثمر، ونوي الثمر، ونجده أيضاً في مادة

1- عبد الرضا علوان المياح: النباتات الطبية والتداوي بالأعشاب، ص29-30.

2- ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص3.

3- عبد الرضا علوان المياح: النباتات الطبية والتداوي بالأعشاب، ص29.

"خطمي"، فقد ذكر فوائد الخطمي العلاجية من ورقه وقضبانه (سيقانه)، وبذره، وأصله، وعُصارة أصله، وإن لم يذكر ابن البيطار في مقدمة المادة أن المادة الفعالة في النبات كله.

يتضح مما سبق أن إسهامات ابن البيطار في مجال الصيدلة التي تنوعت بين إضافات إلى رصيد الصيدلة العربية، وبين إضافات إلى رصيد الصيدلة العالمية، وبين الإضافات التي أضافها بملاحظاته على الأدوية العربية واليونانية التي ذكرها القدماء والمحدثون، فنجد أن ابن البيطار قد أضاف إلى رصيد الصيدلة العربية والإسلامية (332) مادة دوائية، أما ما أضافه غلي رصيد الصيدلة العالمية (75) دواء جديداً، وما أضافه من ملاحظات على (104) مادة، وهي ملاحظات كما أوضحنا من قبل لتصحيح أخطاء سابقه سواء أكانت في المسميات أو الصفات أو المنافع.

الخاتمة

عرفت الأندلس تطوراً علمياً كبيراً في شتى المجالات، والطب ليس استثناء من ذلك، فقد شهدت دولة الأندلس تطوراً طبياً عظيماً نتج عنه إرث طبي عالمي نرى آثاره وفوائده إلى يومنا هذا.

وذلك راجع إلى اهتمام الخلفاء والحكام الأندلسيين بالعلوم، ودعمها وتقديرها، بالإضافة إلى أن بيئة الأندلس خصبة وتمتاز بأعشاب وأشجار وحياة متنوعة ساعدت على العلوم الطبية. ما نتج عنه التنافس العلمي والسعي إلى التقدم والابتكار الفكري والعلمي، بحيث توجه علماء الأندلس إلى قراءة المصنفات المختلفة في شتى بقاع الأرض والاستفادة مما جاء فيها.

نشأ أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقى المعروف بابن البيطار في بيت علم ودين، مما ساعده على التبحر في العلوم، حيث ركز على علم الطب متأثراً بشيخه أبي العباس النباتي المعروف بابن الرومية. فكان له دور بارز في علم الطب، الذي تخصص فيه منذ صغره، فعرف بإمام الصنعة -أي علم الطب- في زمانه، حيث ترك عديد المؤلفات التي تعد ذخيرة علمية وطبية لا يستغنى عنها.

كانت عناية العلامة ابن البيطار بالوصف النباتي بالغة، فشرح وعرف عديد الأدوية التي لم تكن تعرف قبله في الأندلس، وذلك راجع لإلمامه باللغات المختلفة، مما يمنع الخلط بين اللغات المختلفة وسعة اطلاعه على المؤلفات الأجنبية، يعتبر أول من فصل بين علمي الطب والصيدلة، وكان اهتمامه منصبا على الصيدلة بشكل أكبر، حتى لقب بشيخ العشابين.

ساهم ابن البيطار في مجال الصيدلة التي تنوعت بين إضافات إلى رصيد الصيدلة العربية، وبين إضافات إلى رصيد الصيدلة العالمية. وهذا كثرة ترحاله، وهذا مما مكنه من الغوص في علوم الطب والأعشاب، باحتكاكه وملاحظته المباشرة لهاته الأعشاب.

وختاماً.. ومع بلوغ البحث نهايته، وكل موضوع، ومهما بلغنا من الكشف عن الخفايا والحقائق؛ لا نقول إننا قد أجبنا على كل الإشكاليات، وحسمنا كل التساؤلات، إلا أننا خرجنا بمجموع من الاستنتاجات والاستخلاصات في بحثنا المتواضع، آمليين أن يكون منطلقاً لدراسات جديدة، وأرضيةً يعمل عليها الطلبة والباحثون لبناء الجديد في البحث، مثل العمل على مواضيع من قبيل:

- دراسة وتحقيق مخطوطات ابن البيطار؛ كمخطوط: "جامع المنافع البدنية" المنسوب لابن البيطار، والذي هو في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم "ط74 (3161)".
- لغة ومفردات ابن البيطار الطبية.. دراسة لسانية تفكيكية.
- رحلات ابن البيطار شرقاً وغرباً.. دراسة تحليلية وصفية.

الملاحق

الملحق (01): الإنتاجات العلمية لبعض أطباء وصيادلة
الأندلس في الأدوية المفردة

الملحق (02): الإنتاجات الدوائية لبعض أطباء وصيادلة
الأندلس

الملحق (03): تمثال للطبيب الصيدلاني ابن البيطار بمدينة
ملقا الإسبانية

ملحق رقم (04): أدوات جراحية استعملها الطبيب الزهراوي

الملحق رقم (01): الإنتاجات العلمية لبعض أطباء وصيادلة الأندلس في الأدوية المفردة

اسم الصيدلاني أو الطبيب	ما اشتهر به من النتاج الدوائي، العقاقير (الأدوية المفردة)	نماذج من المفردات
الصيدلاني العشاب ضياء الدين عبد الله بن احمد المائقي المعروف بابن البيطار	أكثر من ثلاثمائة عقار	منها ارتد بريد، اسبوس افتمون، بشنين، ثالبيطون جفت افريد جوز الكوثل حجر المثانة خاماسوقي، خمّنحم دلق، دهن الهاذروج، دهن الفيصوم دهن النرجس، دهن الجماجم دهن الحناء دهن الأبرسا، دهن عصير العنب دهن الدار صيني، دهن الناردين، دهن الحلبة دهن السنداب، دهن النسرين، دهن السفرجلدهن البابونج، زهرة الكرم، دهن الكفريدهن، دهن النيلوفر، فقاح الخلاف، دهن الأملج، دهن المصطكي، دهن اللوز، دهن بزر النجرة، دهن الشونبرهن الشهداج، دهن الضرو، دهن الحنظل، دهن البيض، دهن القمح، دهن الحمص، دهن الأفسنين، دهن العافر قرما، دهن الساذج، شجرة ابيمالك، عنب عسل داود، طين الأرض طين ساموش، طين قيموليا، طين كرمي، طين ارمني طين تيسابوري طين حر

أبو القاسم خلف بن عباس تسع عقاقير الزهراوي	تسع عقاقير	منها آطر بلال، انعليس، برشا زشان، بول الابل، خزامي، دليوث، وهن الاجر، زيت الحابي، عقرب بحري
الطبيب الصيدلاني سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل	خمسة وأربعون عقار	منها آذريون، او بغلصن، جوز الانهار، جوز حبذم، تنبول، جليان، خرم، خرمحوش، وند، زاج، زنجفر، شبهان. طاليسفر، عتم، كرم، قلب، كف مريم، كندلا، لينابوحنس، ليمونبون محب، مسحو نيا، موز، ياسمين
الصيدلاني أحمد بن محمد الغافقي	أكثر من مائة وثمانية وتسعون عقار	منها دردار اذان الفار، ارنب بري، اصابع صقر، افنيقش، الوبن، امسوخ، الجبار، بذذ، برنجاسف، بريينية، برقا مصر، بلخته، بنطاكلن، بنتومة، دنياقوس، فريري، جلبان، جليف، حجر اكوت حجر الأفروخ، حزاء، حشيشة الزجاج، خبث، خمان، ذئب البع، سرغست، سالي، سلت، سمس سندروس شاهبابك شبهان، شجرة إبراهيم، صاصلي، ضجع، طهق، مرو، ماركيون، لوقاص، لسان السبع، لاعبة، كف ادم، كف الضبع، كزوان، كسمويا ¹

1- أمينة حميد حمزة: الصيدالة والعشابون في الأندلس، شهادة ماجستير، جامعة بغداد، العراق، 1428هـ/2007، ص ص323، 326.

الملحق رقم (02): الإنتاجات الدوائية لبعض أطباء وصيادلة الأندلس

القرن الذي اشتهر فيه	اسم الطبيب أو الصيدلاني الذي أنتجه	الإنتاج الدوائي
04 هـ/10م	الطبيب الصيدلاني سليمان ابن حسان	شفاء العين
04 هـ/10م	الطبيب الصيدلاني سليمان ابن حسان (ابن جلل)	شراب لعلاج قرحة الأمعاء والإسهال المزمن
06 هـ/12م	الطبيب الصيدلاني أحمد بن محمد الغافقي	شراب لأورام الطمث
06 هـ/12م	الطبيب الصيدلاني أحمد بن محمد الغافقي	شراب مسهل
06 هـ/12م	الطبيب الصيدلاني أحمد بن محمد الغافقي	شراب لعلاج نزف الدم عند النساء
القرن 07 هـ	الطبيب الصيدلاني ابن البيطار	شراب لمعالجة المعقور من الدواب والجراحات الخبيثة
القرن 07 هـ	الطبيب الصيدلاني ابن البيطار	ضماد القروح الخبيثة
القرن 07 هـ	الطبيب الصيدلاني ابن البيطار	طلاء لعلاج خفقات القلب
القرن 07 هـ	الطبيب الصيدلاني ابن البيطار	شراب لتفتيت الحصى
القرن 07 هـ ¹	الطبيب الصيدلاني ابن البيطار	دهن الزعفران لعلاج القروح الخبيثة

1- المرجع نفسه، ص ص 327، 329.

الملحق رقم 03: تمثال للطبيب الصيدلاني ابن البيطار بمدينة ملقا الإسبانية¹



1- الموسوعة الحرة، ويكيبيديا: الرابط: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

1. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي: (ت 658هـ/1259م): الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1963م.
2. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني (ت 637هـ/1239م): جامع الأصول من أحاديث الرسول، ط2، تح: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980م.
3. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 560هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1989م.
4. ابن أبي أصيبعة، أحمد بن أبي القاسم (ت 668هـ/1270م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
5. البكري، أبو عبد الله عبد العزيز القرطبي (ت 487هـ/1094م): المسالك والممالك - جغرافية الأندلس وأوروبا-، تح: عبد الرحمان علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة، بيروت، د.ت.
6. ابن البيطار، أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت 646هـ/1249م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م.
7. ابن البيطار، أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت 646هـ/1249م): تفسير كتاب ديسقوريدس -في الأدوية المفردة-، تح: ابراهيم بن مراد، منشورات كلية الآداب بتونس، دار الغرب الاسلامي 1989م.

8. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت 279هـ/892م): سنن الترمذي، تح وت: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ/1975م.
9. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت 728هـ/1328م): مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد للطباعة، السعودية، 2004م.
10. ابن جليل، أبو داود سليمان بن حسان (بعد 377هـ/987م): طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
11. حاجي خليفة، أبو الحاج مصطفى بن عبد الله (ت 1067م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.
12. ابن حجاج، أبو عمر أحمد بن محمد الاشبيلي الأندلسي (ت 576هـ) المقنع في الفلاحة، تح: إبراهيم أحمد مهاوش الديلمي، بغداد، 1981.
13. الحموي، أبو عبد الله ياقوت (ت 626هـ/1230م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.
14. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت 367هـ/1140م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1978م.
15. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن الفتوح (ت 488هـ/1090م): جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: ناصر الأنصاري، ط2، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م.
16. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ/1495م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م.
17. ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (ت 776هـ/1374م):

- الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م.
18. ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (ت 776هـ/1374م):
اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح: محي الدين الخطيب، المطبعة
السلفية، القاهرة، 1937م.
19. ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (ت 776هـ/1374م):
أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام -تاريخ إسبانيا
الإسلامية-، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956م.
20. الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ/1344م): سير أعلام
النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط9، مؤسسة الرسالة،
بيروت، 1413هـ/1992م.
21. الرازي، عبد الرحمان بن أبي حاتم (ت 327هـ): آداب الشافعي ومناقبه،
ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
22. ابن صاعد، أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي (ت 462هـ/1070م):
طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية لآباء
اليسوعيين، بيروت، 1912م.
23. صفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ):
الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث،
بيروت، 2000م.
24. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت 1089هـ/1679م): شذرات
الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
25. العمري، أبو العباس أحمد بن فضل الله (ت 749هـ/1349م): مسالك

- الأبصار في ممالك الأمصار، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.
26. الغزالي، أبو حامد محمد (ت 505هـ/1111م): إحياء علوم الدين، تح: زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسن العراقي، ط1، دار صادر، بيروت، 2000م.
27. الفيروزأبادي، أبو الطاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1415م): البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تح: محمد المصري، ط1، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، 1407هـ/1986م.
28. الفيروزأبادي: أبو الطاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1415م): القاموس المحيط، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2003م.
29. القزويني، زكريا بن محمد (ت 682هـ/1283م): آثار البلاد في أخبار العباد، بيروت، 1956م.
30. المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
31. مؤلف مجهول، (حي في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي): مفتاح الراحة لأهل الملاحة، تح: عيسى صالحية وإحسان صديقي العمر، الكويت، 1984م.
32. ابن وafd، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الكبير (ت 427هـ/1070م): الأدوية المفردة، تح: أحمد حسن بسبج، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000م.

ثانياً: المراجع

1- الكتب

1. إدوارد جي، براون: الطب العربي، نقل الكتاب إلى العربية وعلق عليه: داود سليمان علي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
2. أرسلان، شقيب: الحل السندسية في الأخبار والآثار والعباد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
3. باشا، أحمد فؤاد: دراسات إسلامية في الفكر العلمي، ط1، دار الهداية للطبع والنشر، القاهرة، 1997م.
4. البشير، سعد عبد الله: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، منشورات جامعة أم القرى، 1982م.
5. التوانسي، أبو الفتوح والجمبلاطي، علي: ابن البيطار الأندلسي - أعظم صيدلي في الإسلام -، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
6. حسين، محمد كامل: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، منشورات المنظمة العربية للثقافة والعلوم، دم، د.ت.
7. الخولي، يمني طريف: فلسفة كارل بوبر - منهج العلم، منطق العلم -، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م.
8. الدفاع، علي عبد الله: إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ/ 1987م.
9. ريسلر، جاك: الحضارة العربية، تر: غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، د.ت.
10. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، دم، 2002م.

11. السامرائي، كمال وآخرون: ابن البيطار وأثره في الطب والصيدلة -دراسة تراثية علمية-، تق: خالص حسني الأشعب، منشورات مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 1988م.
12. السعيد، عبد الرزاق المسعود: رواد الطب عند المسلمين والعرب، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان-الأردن، 2001م.
13. شبوح، إبراهيم: فهرس المخطوطات المصورة لمعهد المخطوطات العربية، وضعه: فؤاد سيرة، مطبعة السنة المحمدية، منشورات معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1959م.
14. عاشور، عبد اللطيف: التداوي بالنباتات والأعشاب، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1985م.
15. العامري، محمد بشير حسن راضي: إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م.
16. علي، ماهر عبد القادر محمد: فلسفة العلوم -المنطق الاستقرائي-، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م.
17. قنواطي، جورج شحاته: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، ط2، الدار العربية للكتاب، بغداد، 1996م.
18. محمد، علي عبد المعطي: المنطق وفلسفة العلم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.
19. بن مراد، إبراهيم: المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
20. مرسي، محمد منير: البحث التربوي وكيف نفهمه؟، عالم الكتب، القاهرة، 1994م.

21. مصطفى، سعيد صالح: الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية، دار ابن خلدون، القاهرة، د.ت.
22. منتصر، عبد الحليم: تاريخ العلم -ودور العلماء العرب في تقدمه-، ط8، دار المعارف، د.ت.
23. المياح، عبد الرضا علوان: النباتات الطبية والتداوي بالأعشاب، ط1، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 1422هـ/2001م.

2- الرسائل الجامعية

1. حمزة، أمينة حميد: الصيدلة والعشابون في الأندلس، شهادة ماجستير، جامعة بغداد، العراق، 1428هـ/2007م.
2. عبد الرحمان، رزق عبد الرحمان محمود: مفهوم الصيدلة ومصادرها عند ابن البيطار، رسالة ماجستير، جامعة بنها-مصر، 2000م.

3- الموسوعات:

1. محجوب، فاطمة: الموسوعة الإسلامية، ط1، مكتبة مد بولي، القاهرة، 1411هـ/1990م.
2. الموسوعة العربية الميسرة: ط1، دار القلم ومؤسسة فرانكلين، بيروت، 1965م.

4- المواقع الإلكترونية:

1. الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.
2. الجزيرة نت.

فهرس المحتوى

المقدمة	(06-01)
الفصل الأول: الطب والصيدلة في الأندلس	(25-07)
المبحث الأول: حركية علم الطب في الأندلس	08
المبحث الثاني: أطباء وصيادلة الأندلس وإنجازاتهم	20
الفصل الثاني: التعريف بابن البيطار	(44-26)
المبحث الأول: حياة ابن البيطار	27
المبحث الثاني: طلبه للعلم	34
الفصل الثالث: إسهامات ابن البيطار في مجال الطب والصيدلة ومكانته العلمية	(71-45)
المبحث الأول: إسهامات ابن البيطار في مجال الطب والصيدلة	46
المبحث الثاني: مكانة ابن البيطار في علم الطب والصيدلة	59
الخاتمة	72
الملاحق	75
قائمة المصادر والمراجع	81
فهرس المحتوى	89

الملخص:

يأتي هذا البحث كمحاولة جادة للكشف عن أصالة ما وصلت إليه الحضارة الأندلسية في مجالي الطب والصيدلة، من خلال البحث في الجوانب العلمية المهمة المدروسة في هذين العلمين؛ وذلك من خلال عرض ما قدمه العالم الفذ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقي (ت 646هـ)، الذي أسهم في تطوير علمي الطب والصيدلة كما وكيفا ونوعا، حيث وقفنا على مدى عظمة ابن البيطار ومكناته العلمية، باستعراض مسيرة حياته ومميزاته الشخصية والعلمية، فضلا عن ذكر أهم منجزاته ومؤلفاته، بالإضافة إلى المواد التي أتى بها والتي لم يسبقه إليها من العرب والمسلمين وحتى من غير المسلمين.

الكلمات المفتاحية: ابن البيطار، علم الطب، العشابين، الحضارة الأندلسية.

Abstract:

This research is a meticulous endeavor to uncover the unique aspects of the Andalusian civilization in medicine and pharmacy. It explores the vital scientific elements studied in these two disciplines, with a particular focus on the work of the distinguished scientist Abu Mohamed Abdullah bin Ahmed bin al-Bitar (d 646 AH). His contributions to the field, both in quantity and quality, have significantly shaped the development of medicine and pharmacy. This study comprehensively reviews his life and personal and scientific characteristics and highlights his most significant achievements and writings. It also brings to light the materials he introduced, unprecedented among Arabs, Muslims, and even non-Muslims, offering a fascinating glimpse into the originality of Andalusian civilization.

Keywords: Ibn al-Bitar, Medicine, Herbalists, Andalusian civilization.

جملہ



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



Faculty of Humanities and Social Sciences
The Presidency of the College for Studies and
Student Success

كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية
ديان العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: ابن البشير و مساهماته في التاريخ الإسلامي
(1366/1367 هـ)

إعداد الطلبة،

1- عبد الرحمان طالب رقم التسجيل: 20232304102697

2- صليو منشر رقم التسجيل: 20232391304461

القسم: تاريخ الشعب، تاريخ التخصص تاريخ الغزاة الإسلامية
إشراف: محمد الصديق محمود الرقبة، دكتور

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي 2023-
2024 وأسمح بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وامضاء المشرف(ة)،



د. عباس فتحي

Web site:
Face book:
Tel / Fax:

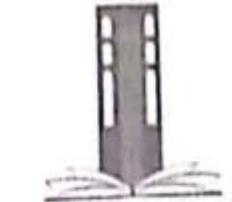
http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/
https://www.facebook.com/FshsUnivMsila/
+ 213 35 35 3044

الموقع الإلكتروني:
الفايسبوك:
هاتف / فاكس:

28/05/2024



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

Faculty of Humanities and Social Sciences

Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Affairs

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نهاية العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: 2024/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد (ة): طالب عبد الرحمان

الصفة (طالب, استاذ باحث, باحث دكتوراه): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 203200498

الصادرة بتاريخ: 2018/07/24 عن دائرة: سيدي عامر

المسجل (ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي تحت رقم التسجيل: UN2801202323044102691

والمكلف بإنجاز اعمال بحث (مذكرة التخرج ليسانس، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

عنوانها: ابن البيطار وإسهاماته الطبية والصيدلية

في الأندلس ت: 646هـ / 1248م

اصرح بشرفي باتني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في
انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2024/05/26

امضاء المعني (ة):

٨

المسجل في: 22/06/2024 15:37
المحدد للتواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها: 2016

تصريح شرعي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضى أدناه :

السيد(ة) : مشتري ميلود

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم)، طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 204814709

الصادرة بتاريخ: 16-07-2019 عن دائرة: عين الحاصل

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ العرب الإسلام تحت رقم التسجيل: 20232391304461

والمكلف بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه) .

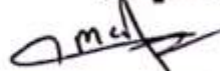
عنوانها: _____

أصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة

الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 26-05-2024

امضاء المعني(ة):



المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.